شرح حديث أبي بكر الصديق
اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً

تأليف
شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

ويليه

التحقيق الوثيق لفوائد حديث أبي بكر الصديق

تحقيق وتعليق
أبي محمد أشرف بن عبد المقصود

أضواء السلف

شرح حديث أبي بكر الصديق

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً

لشيخ الإسلام ابن تيمية


بسم الله الرحمن الرحيم

شرح حديث أبي بكر الصديق

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

ويليه

التحقيق الوثيق لفوائد حديث أبي بكر الصديق

تحقيق وتعليق

أبي محمد أشرف بن عبد المقصود

أضواء السلف

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحربي

الرياض - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ - جوال ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

تطلب منشوراتنا من :

مكتبة الإمام البخاري - مصر - الإسماعيلية - ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤



وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ ❁ قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ❁ وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ❁ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ❁ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ❁



مُقدمة التحقيق

إنَّ الحمدَ للّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذُ باللّه من شُرور أَنفسنا وسيّئات أعمالنا ، من يهدِه اللّه فلا مُضِـلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أنْ لا إله إلّا اللّه وَحْدَهُ لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فبين يَدَي القَارئ الكَريم هذا الشَّرح النفيس لحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه : « اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا » ، والذي يُنْشَر لأول مرة ، وهو يعدُّ بحق من أروع الشُّرُوح الحديثية التي نفتتح به باكورة عملنا في إخراج هذه الدُّرر النفيسة للعالم الرَّبَّاني ، وناصر السُّنَّة وقامع البدعة شيخ الإسلام والمسلمين أبو العباس أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ .

۞ ولشيخ الإسلام باعٌ طويل في شَرح السنة وبيان معانيها وتبيين قواعدها ومَبَانيها ، وبيان ما تضمنته الألفاظ النبوية من الآداب والحكم والمعارف والأحكام والشرائع .

* يقول العلامة ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ : « وله في الأحاديث وشَرْحِها شيءٌ كثيرٌ جدًّا ، منها ما بُيِّض ، ومنها ما لم يُبَيَّض ولو بيض لبلغ مجلدات عديدة .. » * ثم سَرَدَ منها عشرين شرحًا ، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

« وله أجوبة كثيرة في أحاديث يُسْئَلُ عنها ؛ من صحيحٍ يَشْرَحُهُ وضعيفٍ يُبَيِّنُ ضَعْفَهُ ، وَبَاطلٍ يُنَبِّهُ على بُطْلانه »[1] .

۞ وأما توثيق نسبة هذا الشرح لشيخ الإسلام رحمه الله :

ـ فقد أورده ابن عبد الهادي في « العقود الدرية » ص (٧٧ ، ٧٨) .

ـ وكذا ذكره ابن رُشيق في « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام »[2] بعنوان : « شرح دعاء أبي بكر » ص (٢٤٩) .

ـ كما اختصره العلامة أبي عبد الله بدر الدين محمد بن علي الحنبلي البعلي المتوفى سنة ٧٧٧هـ ضمن « مختصر الفتاوى المصرية » وهو مطبوع .

۞ وأما عملنا في التحقيق :

* فقد اعتمدت على نسخة تقع ضمن الجزء الثاني من « الفتاوى المصرية » والمحفوظ بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ١٤٠٢ .

ويقع شرح حديث أبي بكر أولها في ١٨ ورقة تقريبًا

كل ورقة بها ١٩ سطرًا .

---

(١) « العقود الدرية » لابن عبد الهادي (٧٧ ، ٧٨) .

(٢) وهو المنسوب خطأ إلى ابن القيم ، وقد طبع حديثًا مع تصحيح نسبته لابن رشيق ضمن « الجامع لسيرة شيخ الإسلام » (٢٢٠ ـ ٢٤٩) .

* وهذه النسخة مكتوبة بخط نسخ ، وتمَّ نسخها في خامس شهر جمادى سنة ٧٤٢هـ ببعلبك . والناسخُ لها هو : أبو بكر بن أحمد بن عبد الله بن عبد الغني بن أبي بكر بن القاسم البعلي عفا الله عنه .

* فاتخذت هذه النسخة أصلًا ؛ ولما كان مختصر هذا الشرح قد طُبِعَ ضمن « مختصر الفتاوى المصرية » للبعلي ؛ فاعتبرت هذا المختصر نسخة ثانية مساعدة ، ولكني لم أعتمد على المطبوع بل على نسختة الخطية المحفوظة بالمكتبة الأزهرية برقم (٦٥٧ ـ قضاء) فقه أحمد ، نسخت سنة ١٣٢٢هـ ، وتقع في ٢٠٢ورقة . و « مختصر شرح حديث أبي بكر » يقع ضمن الورقات (٣٥ ـ ٤٠) ، وأثبت في هامشٍ مُنْفَصِل عن التعليقات بينط صغير عن هامش التعليقات بعض الفروق منها .

* كما قُمْتُ بضبط فَقَرات الشَّرح كلها ، ونسَّقت عباراتها ، ورقَّمت فقراتها برقم مُسَلسل ؛ تسهيلا للفهم للدَّارس والمتعلم ؛ فإن النَّص إذا كان كتلة واحدة ربما كان سبباً في الملل وصُعُوبة الفَهْم[١] .

* ثم وضعت للشرح عناوين جانبية للفقرات ، ولم أجعلها في صلب المتن حتى لا تختلط بكلام المصنف .

---

(١) راجع في ذلك : « تذكرة السامع والمتكلم » للعلامة ابن جماعة ص (١٩٢) .

* كما قمت بعزو آياته ووضع العزو بجوار الآيات ، وخرجت أحاديثه وآثاره وبينت مرتبتها من حيث القبول والرد .

* كما وضعت بعض التعليقات المهمة وأكثرها من كلام شيخ الإسلام من كتبه الأخرى ، وترجمت لبعض الأعلام بتراجم مفيدة تدعو إليها الحاجة ، وغير ذلك .

* كما صنعت له فهارس للآيات والأحاديث والآثار والموضوعات .

وزيادة في الفائدة ألحقت به ما جمعته من فوائد مهمة تحت عنوان :

التحقيق الوثيق لفوائد حديث أبي بكر الصديق ﷺ

هذا وقد اجتهدت في ذلك حَسَب الوسع والطَّاقة ، واللَّه تعالى يَغْفِر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وظلمنا لأنفسنا .

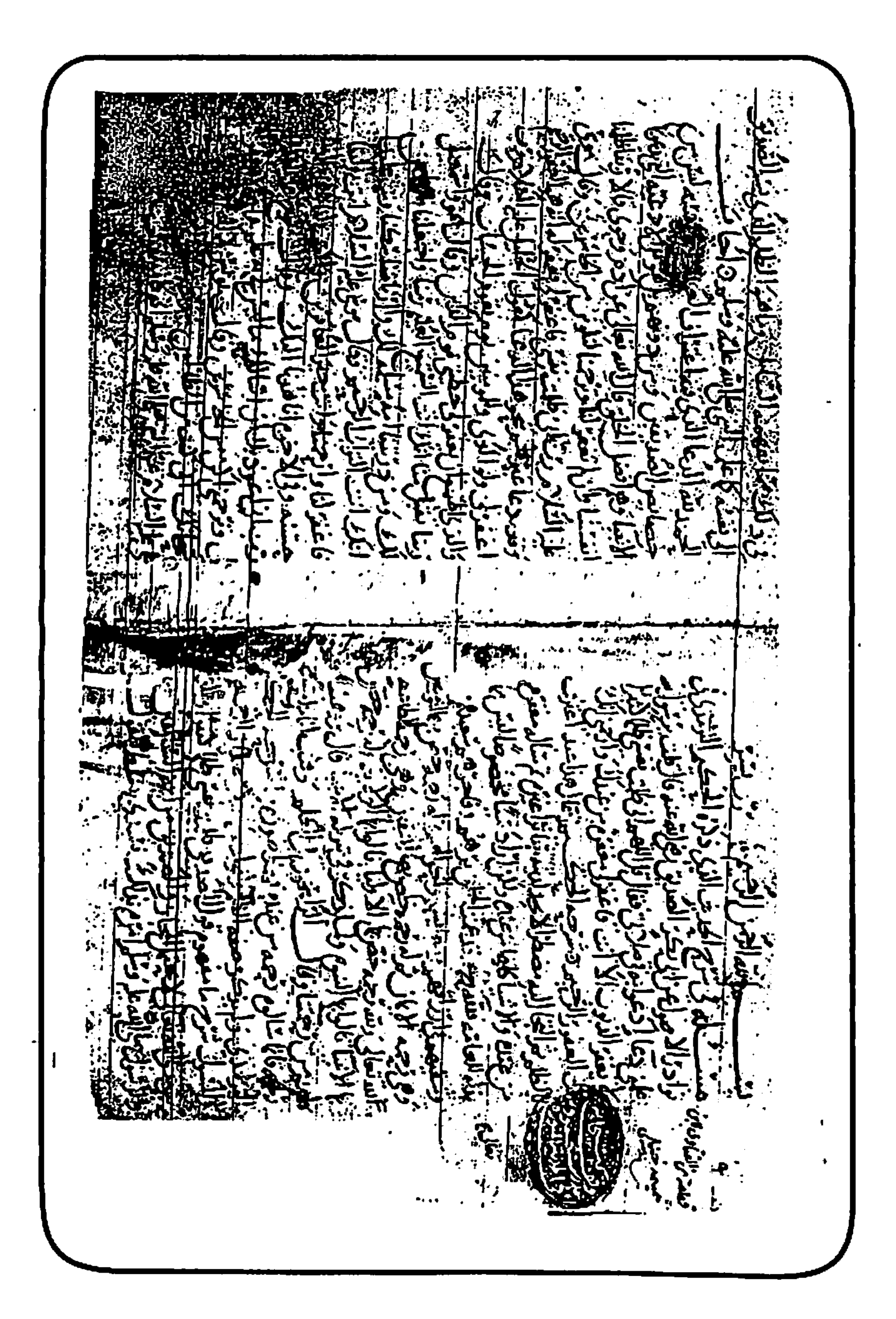
ولا حول ولا قوة إلا باللَّه ، وهو حَسْبُنَا ونِعْم الوَكِيل .

الاسماعيلية في ١١ محرم ١٤٢٢هـ

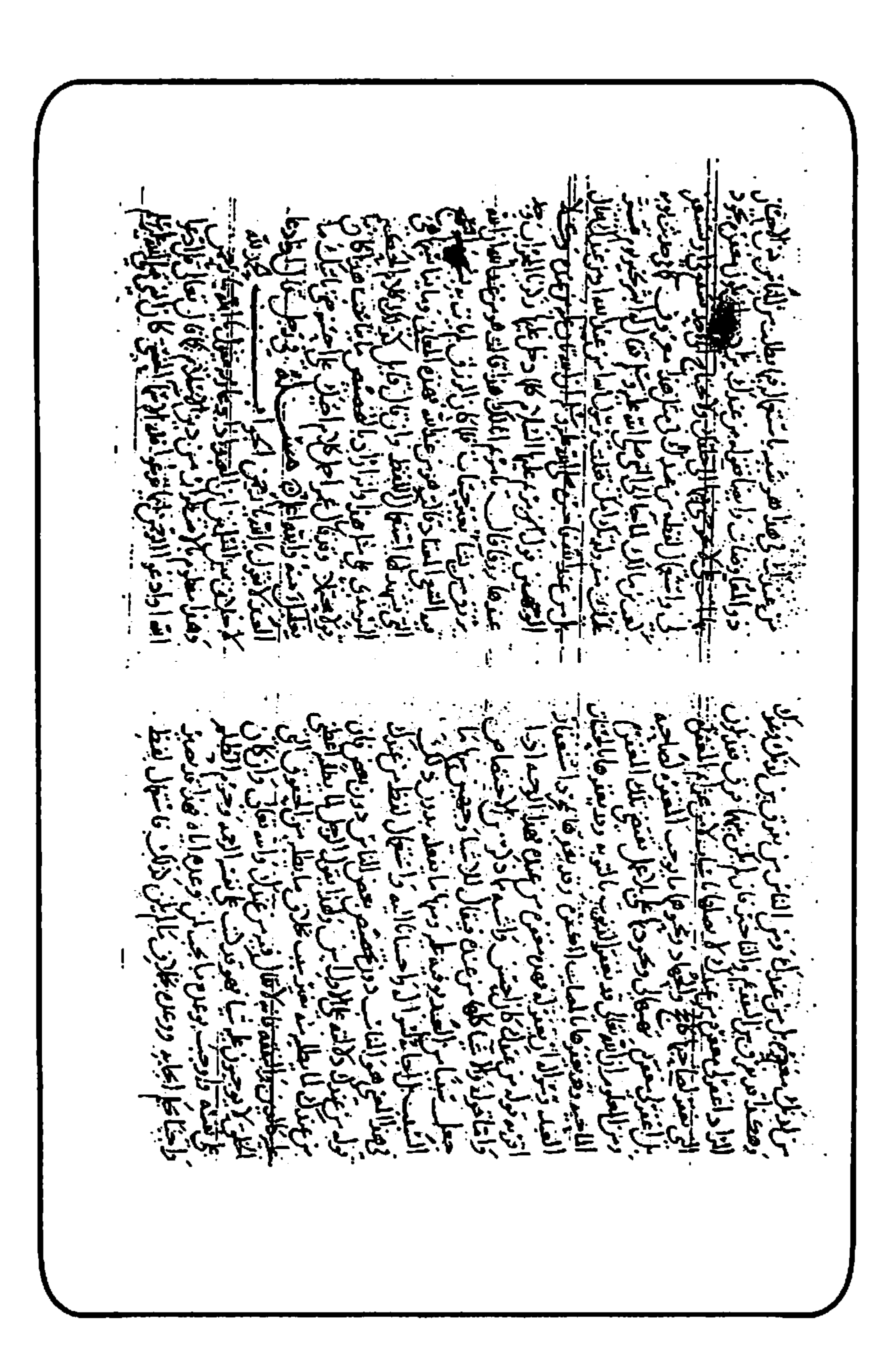
أبو محمد أشرف بن عبد المقصود


صور المخطوطات





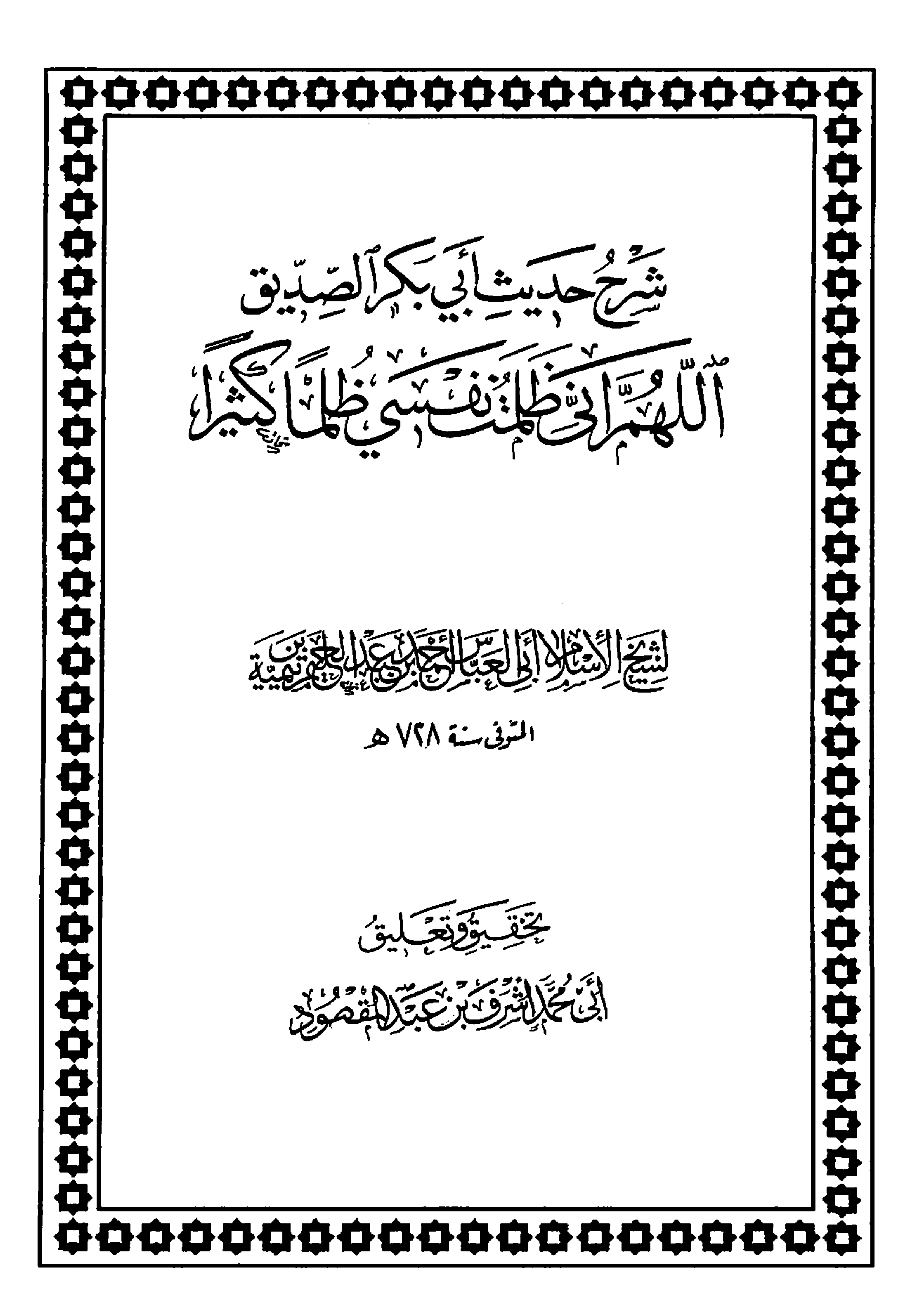
صورة الورقة الأولى من نسخة المحمودية



صورة الورقة الأخيرة من نسخة المحمودية

صورة الورقة الأولى من نسخة الأزهرية لـ « مختصر الفتاوى المصرية »

صورة الورقة الأخيرة من نسخة الأزهرية لـ « مختصر الفتاوى المصرية »



شرح حديث أبي بكر الصديق

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً

لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

أبي محمد أشرف بن عبد المقصود

/ لوحة ظا /

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

مسألة في شرح الحديث الذي ذكره «الحكيم الترمذي» في نوادر الأصول

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ﷺ! علمني دعاء أدعو به في صلاتي؟ فقال: قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

شرح الحكيم الترمذي لحديث أبي بكر الصديق

شَرَحَهُ الحكيم فقال: « هذا عَبدٌ اعترف بالظُّلم ثم التجأ إليه مضطرًا[أ]، لا يَجد لِدينه سَاتِرًا غيره ثُمَّ سألهُ مغفرة من عنده ، والأَشياء كلها من عنده[ب] ، ولكن أراد شيئًا مَخصوصًا ليس مِمَّا بذله للعامَّة . فللَّه تعالى رحمة قَدْ عمَّت الخلق

[أ] في « النوادر » : « التجاء مضطر » .
[ب] في « النوادر » : « وإن كان الأشياء كلها من عنده » .

برّهم وفاجرهم ، سعيدهم وشقيهم ، في أرزاقهم ومَعَايِشهم وأَحْوالهم ، ثمَّ له رَحْمة خصَّ بها المؤمنين ، وهي رَحْمة الإيمان ، ثُمَّ له رَحْمة خصَّ بها المتَّقين ، وهي رحمة الطَّاعة للّه تعالىٰ ، وللّه رَحْمة خصَّ بها الأَوْلياء نَالُوا بها الولاية ، وله رحمة خصَّ بها الأَنبياء نَالوا بها النبوة . ولما ذَكَرَ في تنزيله الأَنبيـاء قال : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾ [مريم : ٥٠] . وقال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ [آل عمران : ٧ ، ٨] . فإنما سَأَلُوه رَحْمةً من عِنْدِه »[١] .

فهذا صورة ما شَرَحُه « الحكيم الترمذي »[٢] .

(١) « نوادر الأصول » (٢ / ٣٢٣) . ونقله في « فيض القدير » (٤ / ٥٢٣) .

(٢) الحكيم الترمذي : هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله .
قال الذهبي : « كان ذا رحلة ومعرفة وله مصنفات وفضائل .. وله حكم ومواعظ وجلالة لولا هفوة بدت منه . . . قال أبو عبدالرحمن السلمي : هجر لتصنيفه كتاب ختم الولاية وعلل الشريعة وليس فيه ما يوجب ذلك ولكن لبعد فهمهم عنه » .
قلت (أي الذهبي) : كذا تكلم في السّلمي من أجل تأليفه كتاب حقائق التفسير فياليته لم يؤلفه ، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية والشطحات البسطامية ، وتصوف =

ولم يذكر صفة الظلم وأنواعه كما ذكر صفة[أ] الرحمة .

السؤال بشرح كلام الحكيم الترمذي

والمسئول : شرح ما مفهوم قول الصِّدِّيق : « ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا » ؛ والدُّعاء بين يدي اللَّه تعالىٰ لا يحتمل المجَاز ، والصِّدِّيق من أئمة السَّابقين ، والرسول ﷺ أَمَرَهُ بذلك ؟!

/ لوحة و٢ /

فَتُبْدي بسط القول / في ذلك مما يفهمه السائل ؟

وما هو الظلم الذي نسبه الصديق إلى نفسه كما علمه النبي ﷺ ؟

❋ ❋ ❋ ❋

= الاتحادية !! فَوَاحُزْنَاهُ على غربة الإسلام والسنة قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] » .
« سير أعلام النبلاء » (١٣ / ٤٤٠ - ٤٤٢) .

[أ] في الأصل : « صفات » وما أثبته من المختصر .

أجاب : الحَمْدُ لِلَّهِ .

الاعتراف بالذنب في الدعاء من خصائص الأنبياء ونماذج من أدعيتهم

١ـ الدُّعَاءُ الذي فيه اعترافُ العبد بِظُلْمِ نَفْسه[أ] ليس من خصائص الصِّديقين ومَن دونهم ؛ بل هو من الأَدْعية التي يدعو بها الأنبياء ، وهم أفضلُ الخَلْقِ .

٢ـ قال اللَّه تعالىٰ عن « آدم » و « حَواء » : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

٣ـ وقال « موسىٰ » عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص : ١٦] .

٤ـ وقد دَعَا غيرهم بنحو هذا الدُّعَاء :

٥ـ كقول « الخليل » عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [ابراهيم : ٤١] .

٦ـ وقال : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٨٢]

٧ـ وقال هو و « إسماعيل » : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧-١٢٨] .

٨ـ وقال « موسى » عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ

[أ] في « المختصر » : « النفس » .

ٱلْغَـٰفِرِينَ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِـرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٥ ، ١٥٦] .

٩ـ وقال « نوح » عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٧] .

١٠ـ وقال « يُونس » : ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

من أدعية النبي ﷺ

/ لوحة ظ٢ /

١١ـ وقد ثبت في « الصَّحيح » من حديث « عَلِيٍّ » عليه السلام عن النبي ﷺ أنه كَانَ يَقُولُ في دُعَـاءِ / الاسْتفتاح : « اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِر الذُّنُوب إلا أنت ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ ؛ فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرف عَنِّي سَيِّئها ؛ فإِنَّهُ لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَها إلا أنت ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ كُلُّه بِيَدَيْكَ ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ »[1] .

١٢ـ وقد ثبت في « الصَّحيح » عن النبي ﷺ أنه كان يقول في سُجُوده : « اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ ؛ دِقَّهُ وَجِلَّهُ ، وَعَلَانِيَتَهُ

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧١) (٢٠١) .

وَسِرَّهُ ، وَأَوَّله وَآخِرَه »[١] .

١٣ـ وثبت عنه في « الصحيحين » ؛ أنه كان يقول بين التكبير والقراءة : « اللَّهُمَّ بَاعِد بَيْني وَبَيْنَ خَطَايَايَ ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْن المَشرِقِ وَالمَغرِبِ ، اللَّهُمَّ نَقِّني مِنَ الخَطَايَا ، كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِن الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ اغسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ والثَّلْجِ وَالْبَرَدِ »[٢] .

١٤ـ وثبت أيضًا في « صحيح مسلم » أنه كان يقول نحو هذا الدُّعاء إِذَا رَفَعَ رَأْسَه من الركوع[٣] ، بعد التَّسميع والتَّحميد ؛ بعد أن يقول : « أَهْل الثَّناء وَالمَجْد ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ ، وَكُلُّنا لَكَ عَبْدٌ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ »[٤] .

---

(١) مسلم في الصلاة : (٤٨٣) (٢١٦) .من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
« دِقَّه وَجِلَّه » هُوَ بِكَسْرِ أَوَّلهمَا أَيْ قَلِيله وَكَثِيره . « الديباج » للسيوطي (٢ / ١٧٦) .

(٢) البخاري (٧٤٤) ومسلم (٥٩٨) (١٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
« بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ » قال الحافظ : « قال الكرماني : يحتمل أَن يَكُونَ فِي الدَّعَوَاتِ الثَّلَاثِ إِشَارَة إِلَى الأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ فَالْمُبَاعَدَة لِلْمُستقبَلِ وَالتَّنْقِيَة لِلحَالِ وَالغَسْل لِلمَاضِي » قال : « وفِيهِ مَا كَانَ الصَّحَابَة عَلَيْهِ مِنْ الْمُحَافَظَةِ عَلَى تَتَبُّع أَحْوَال النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وإِسْرَارِهِ وَإِعْلَانِهِ حَتَّى حَفِظَ اللَّهُ بِهِمْ الدِّينَ » . « فتح الباري » (٢ / ٢٣٠) .

(٣) مسلم في الصلاة (٤٧٦) (٢٠٤) من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه .

(٤) مسلم في الصلاة (٤٧٧) (٢٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

١٥ـ وثبت عنه في « الصحيحين » عن أبي موسىٰ أنه كان يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطَئِي وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذَٰلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّر ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ »[1] . / / لوحة ٣و /

١٦ـ وثبت عنه في « الصحيحين » ؛ أنه كان يقول في دُعَائه بالليل : « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ ؛ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَات وَالأَرْض وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ ؛ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض ومن فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ ؛ أَنْتَ قَيُّوم السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض ومن فِيهِنَّ ، أَنْتَ الحَقُّ ، وَقَوْلُك الحَقُّ ، وَوَعْدكُ الحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، والنَّارُ حَقٌّ ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، ومحمد ﷺ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، اللَّهُمَّ اغْفِر لِي مَا قَدَّمت وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعلَنْتُ ، أنتَ إِلٰهي ، لَا إله إِلَّا أَنْت »[2] .

---

(١) البخاري في الدعوات (٦٣٩٨) ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩) (٧٠) .

(٢) البخاري في التوحيد (٧٤٩٩) ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٩) (١٩٩) من حديث ابن عباس رضي اللع عنهما . وفيه « قيّم » أو « قيّام » بدل « قيُّوم » .

١٧- وثَبُتَ عنه في « الصحيح » عن عائشة أنه كان يقول في ركوعه وسُجُوده : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي » يَتَأَوَّلُ القُرآنَ(١) .

١٨- أي يمتثل ما أُمِرَ به في قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر : ٣] .

١٩- كما امْتَثَلَ بتلك الأدْعية مَا أَمَرَهُ بِهِ في قوله : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر : ٥٥] .

٢٠- ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد : ١٩] .

٢١- وهذا الدُّعاء الذي ذَكَرَتْهُ عائشة بعد نُزُول قوله : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] .

٢٢- فإنه قد ثبت في « الصحيح » أنَّ سورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ آخِر سُورة أُنْزِلت(٢) .

---

(١) البخاري في الأذان (٧٩٤) ومسلم في الصلاة (٤٨٤) (٢١٧) .

(٢) مسلم في التفسير (٣٠٢٤) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ جَمِيعًا . قُلْتُ : « نَعَمْ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وَالْفَتْحُ ؟ » قَالَ : « صَدَقْتَ » .

٢٣ـ **وَأَيضًا** : فأبو موسى الأشعري وأبو هريرة ؛ إنما صَحِبَاهُ بعد نُزول قوله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] .

٢٤ـ فإنَّ هذه الآية قد ثبت في « الصحيح »[1] : أَنها نزلت عام الحديبية لما بَايَعَهُ الصحابة بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وانصرف وقد خَالَطَ أَصْحَابَهُ / كآبة وحُزْن لِرُجُوعهم ولم يُتِمُّوا العُمْرة التي خَرَجُوا لها ، وَقَد صَالَحُوا المشركين ، لما أن في ظاهره غَضَاضَة عليهم حتى كَرِهَهُ كثير منهم ، وجَرَتَ فيه فُصُول ، فأَنْزَلَ اللّه سورة الفتح ، بنصرته من الحديبية ، وهو في الطريق قبل وُصُوله إلى المدينة .

/ لوحة ٣ظ /

٢٥ـ ثم إنه تجهَّز من المدينة لِفَتْح خيبر ، وفي أَوَاخِر غزاة خيبر قدم عليه أبو موسى والأشعريون[2] .

---

(١) مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٦) (٩٧) عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ : « لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ مَرْجِعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ ، وَقَدْ نَحَرَ الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَةِ فَقَالَ : « لَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا » .

(٢) البخاري في فرض الخمس (٣١٣٦) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٠٣) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه .

وفي تلك المدة أَسْلَمَ أبو هريرة [(١)].

٢٦ـ ولما أَنْزَلَ اللَّه عليه هذه الآية : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] . قال لَهُ النَّاس : يَارَسُول اللَّه ! هَذَا لَكَ ، فَمَا لَنَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] . [(٢)]

الرد على من أوّل قوله تعالى ﴿ ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ تأويلا باطلا !!

٢٧ـ وفي هذا ردٌّ على طائفة من الناس كبعض المُصَنِّفين في السِّيَر وفي مسألة العِصْمَة ، يقولون في قوله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ وهو ذنب آدم ، ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ : ذنب أُمَّته .

٢٨ـ فإِنَّ هذا القول ، وإن كان لم يَقُلْهُ أَحَدٌ من الصحابة والتابعين ولا أئمة المُسْلمين ، ولا يقوله من يَعْقِل مَا يَقُول ؛ فقد قَالَهُ طائفة من المتأخِّرين .

---

(١) أجمع العلماء على أن إسلام أبي هريرة كان في السنة السابعة من الهجرة . راجع : « شرح النووي لمسلم » (٥ / ٧٧) و « الفتح » (١١ / ٤٣٥ ، ٤٣٦) .

(٢) رواه أحمد (٣ / ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٥٢) والترمذي (٣٢٦٣) من حديث أنس رضي الله عنه ، بلفظ : « قَالَ رَجُلٌ هَنِيئًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ مَا يَفْعَلُ بِكَ فَمَا يَفْعَلُ بِنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ الآيَةَ [الفتح : ٥] . وقَالَ الترمذي : « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » وأصله في البخاري في المغازي (٤١٧٢) ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٦) (٩٧) بنحوه .

٢٩ـ ويَظُنُّ بعض الجهَّال أنَّ هذا معنى[أ] شَريف ؛ وهو كَذِبٌ على اللَّه وتحريف الكلم عن مواضعه(١) .

٣٠ـ فإنه قد ثبت في الصِّحاح في أحاديث الشَّفاعة : أنَّ الناس يوم القيامة يَأْتُون آدم يَطْلبون منه الشَّفاعة ، فيعتذر إليهم ويقول : « إنِّي نُهِيت عن الشَّجَرة فَأَكَلْتُ منها ، نَفْسِي نَفْسِي » ، ويأتون نبيًّا بعد نبي ، إلى أنْ يأتوا المَسِيح فيقول : « ائْتُوا مُحَمَّدًا فإنه عَبْدٌ قد غَفَرَ اللَّه لَهُ مَا تَقَدَّم من ذَنبه وَمَا تَأَخَّرَ »(٢) .

فلو كان « مَا تَقَدَّم » هو ذنب آدَم ؛ لم يعتذر آدَم !!

٣١ـ **وأيضًا** : فلما نزلت الآية ، قالت الصَّحابة : هذا لَكَ فما / لنا ؟ / لوحة و٤ /
فأنزل اللَّه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح : ٣] .

فلو كان « ما تأخَّر » : مَغْفرة ذُنوبهم ؛ لقال : هذه لكم ![ب] .

٣٢ـ **وأيضًا** : فقد قال تعالىٰ : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « ولأن آدم تاب وغفر له ذنبه قبل أن يُولد نوح وإبراهيم فكيف يقول له إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ذنب آدم ؟ .. » ثم ذكر أوجه كثيرة في الرد على هذا القول الباطل « منهاج السنة » (٢ / ٤٠١ ـ ٤٠٣) .
وراجع : « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٣١٣ ـ ٣١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) البخاري في التفسير (٤٧١٢) ومسلم في الإيمان (١٩٤) (٣٢٧) .

[أ] في « المختصر » : « قول » بدل « معنى » .
[ب] في « المختصر » : « هذا لكم » .

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ ﴾ [محمد : ١٩] .

فَفَرَّقَ بين مَا أَضَافَ إليه ، وما يُضَافُ إلى المُؤْمنين والمُؤْمنات .

٣٣ـ **وأيضًا** : فإضافة ذَنْب غيره إليه أَمْرٌ لا يَصْلُح في حقِّ آحاد الناس ، فكيف في حَقِّه ﷺ حتى تُضاف ذنوب الفُسَّاق من أمته إليه ، ويجعل ما فَعَلُوه[أ] من الكبائر كالزِّنا والسَّرقة وشُرْب الخمر ذَنْبًا له ﷺ ؟ واللَّه يقول في كتابه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، ويقول في كتابه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه : ١١٢] .

الفرق بين الظلم والهضم

٣٤ـ قالوا : « **الظلم** » : أنْ تحمل عليه سيِّئات غيره ، و « **الهضم** » : أنْ ينقص هو من حَسَنَاته ، وهو أفضل مَن عمل من الصَّالحات وهو مؤمن .

فكيف تُحْمَل عليه سَيِّئات غيره وتُضَافُ إليه ؟!

---

(١) البخاري في تفسير سورة طه (٨ / ٤٣٢ ـ فتح) بلفظ : « وقال ابن عباس : هَضْمًا لَا يَظْلِمُ فَيَهْضِم مِن حَسَنَاته » .

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وَصَلَهُ اِبْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عباس فِي قَوْله : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه : ١١٢] ، قَالَ : « لَا يَخَاف اِبْن آدَم يَوْمَ الْقِيَامَة أَنْ يُظْلَم فَيُزَاد فِي سَيِّئَاته ، وَلَا يُهْضَم فَيُنْقَص مِنْ حَسَنَاته » . وَعَنْ قَتَادَة عِنْدَ عَبْد بْن حُمَيْد مِثْله » . « الفتح » (٨ / ٤٣٣)

[أ] في الأصل : « يجعل ماجعلوه » !! وفي المختصر : « بجعل الزنا والسرقة » . وما أثبته هو الذي يستقيم به السياق .

٣٥ـ وأيُّ فَرْقٍ بين ذَنْب « آدم » وذَنْب « نُوح » و « الخليل » وكلهم آباؤه ؟ وأيُّ فرق بين ذنب الإنسان وذنب غير ابنه حتى يُضَاف إليه هذا دون هذا ؟

٣٦ـ واللَّه يقول : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ٣٦ - ٣٨] .

٣٧ـ والنبي ﷺ يقول لرجل معه ابنه : « لا يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ »[١] .

٣٨ـ **وأيضًا** : فقد قال اللَّه في غير موضع في القرآن : إنه ليس عليه إلا البلاغ المبين[٢] .

٣٩ـ وقال : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ [النور : ٥٤]

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٢٢٦ ، ٤ / ١٦٣) وأبو داود في (٤٢٠٧ ، ٤٤٩٥) والنسائي (٧ / ٥٣ ، ٥٤) والترمذي (٢٨١٢) والدارمي (٢٤٣٣ ، ٢٤٣٤) من طرق عن أبي رمثة رضي الله عنه . وقال الترمذي : « حسن غريب » .
وصححه الألباني في « إرواء الغليل » (٧ / ٣٣٣) .

(٢) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة : ٩٢] . وقوله : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل : ٨٢] . وقوله : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ . وقوله : ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت : ١٨] . وقوله : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [التغابن : ١٢] .

٤٠- فإذا كان على أُمَّتِهِ مَا حملوا ، وهو ليس عليه إلا البلاغ المبين كيف تكون ذُنوب أُمّته ذُنُوبه ؟[أ]

/ لوحة ٤ظ /

٤١- ومثل هذا القول لا يَخْفَىٰ فَسَاده على مَن له أَدْنَىٰ تدبُّرٍ / وإن كان قَالَهُ طوائف من المُصَنِّفِين في العِصْمَة ، حتى ترىٰ ذلك في بعض من له في السُّنَّة والفقه والحديث قَدَم[ب] ، لكن الغُلُو أَوْجَب اتِّباع الجُهَّال الضُّلال ؛ فإن مثل هذه التَّفاسير إنما تَصْدُر في الابتداء عن أهل التَّحريف لِكِتاب اللَّه ؛ إمَّا من الزَّنَادقة المنافقين ، وإما من المبتدعة الضَّالين .

الرافضة أول من دخل في الغلو

٤٢- وأول مَن دخل في الغُلو من أهل الأهواء هم « الرافضة »(١) .

٤٣- فإنهم لما ادَّعوا في « عَليّ » وغيره أنهم مَعْصُومون حتى من الخطأ

(١) « الرافضة » : قال شيخ الإسلام رحمه الله : « وإنما سُمُّوا رافضة ، وصاروا رافضة لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام ، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر ، فترحم عليهما فرفضه قوم ، فقال : رفضتموني رفضتموني فَسُمُّوا رافضة ، وتولاه قوم فَسُمُّوا زيدية ؛ لانتسابهم إليه . ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى رافضة إمامية وزيدية ، وكلما زادوا في البدعة ، زادوا في الشر . فالزيدية خير من الرافضة أعلم وأصدق وأزهد وأشجع » . منهاج السنة (٢ / ٩٦) .

وانظر : « منهاج السنة » (٣ / ٤٧١) و « مجموع الفتاوى » (١٣ / ٣٥-٣٦) .

وهم يغلون في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويكفرون أكثر الصحابة إلا عددا يسيرًا ، وقد أخبر شيخ الإسلام رحمه الله أن أصل الرفض من المنافقين والزنادقة فإنه =

[أ] في « المختصر » : « فكيف يكون ذنب أمته ذنبا له ؟ » .

[ب] في « المختصر » : « حتى ترى ذلك في كلام بعض من له قدم صدق من أهل السنة » .

احتاجوا أن يُثْبِتوا ذلك للأنبياء بطريق الأَوْلى والأَحْرَىٰ .

ولما نزَّهوا « عَليًّا » ومَن هو دون « عَليّ » من أنْ يكون له ذنب يَسْتَغفر منه ؛ كان تَنْزِيههم للرُّسُل أَوْلَىٰ وأَحْرَىٰ ؟!

من فساد القرامطة

٤٤ـ ثم جاءت « القرامطة » الزَّنادقة » ؛[1] المُنْتَسِبون إلى « الشيعة » لما ادَّعوا عِصْمة أئمتهم « الإسماعيلية العبيدية »[2]

= ابتدعه ابن سبأ الزنديق ، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص ، وادعى العصمة له » . وراجع : « مجموع الفتاوى » (٤ / ٤٣٥) و (٢٨ / ٤٨٣) و « المقالات » للأشعري (١ / ٨٩) و « اعتقاد فرق المسلمين والمشركين » للرازي ص (٥٢) و « الملل والنحل » للشهرستاني (١ / ١٥٥) و « بغية المرتاد » ص (٣٤١) .

(١) « **القرامطة** » : تنسب إلى حمدان قرمط من أهل الكوفة استجاب لدعوة الباطنية فصار داعية لهم ، وهم الذين دخلوا مكة سنة ٣١٧هـ فاقتلعوا الحجر الأسود وقتلوا المسلمين في الحرم . راجع : « الملل والنحل » (١ / ١٤٢) و « اعتقادات فرق المسلمين » (١١٩ - ١٢٢) و « البداية والنهاية » (١١ / ١٧٧ - ١٨٢ ، ٢٣٧) و « بيان مذهب الباطنية وبطلانه » لمحمد بن الحسن الديلمي ص (٢٢) .

(٢) « **الإسماعيلية** » : نسبة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وهم إحدى فرق الباطنية الذي جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا ، ويخلطون كلامهم ببعض كلام الفلسفة ، ويدَّعون من الإلهيَّة في علي بن أبي طالب وغيره كدعوى النصيرية . يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « الإسماعيلية أخذوا من مذاهب الفرس وقولهم بالأصلين : النور والظلمة وغير ذلك أمورا ، وأخذوا من مذاهب الروم من النصرانية ، وما كانوا عليه قبل النصرانية من مذهب اليونان . . » . « منهاج السنة » (٨ / ١٥) . وراجع : « الجواب الصحيح » (٢ / ٤٠٣ـ٤٠٤) ، و « مجموع الفتاوى » (٧ / ٥٠٢ ، ٥٠٣) ، و « درء تعارض » (١ / ١٠ ـ ١١) وانظر : « الملل والنحل » (١ / ١٩١ ـ ١٩٨) و « الفرق بين الفرق » ص (٦٢ ـ ٨٢) . ويأتي الكلام على العبيديين ص (٧٦) .

« القرامطة الباطنية »[١] « الفلاسفة الدهرية »[٢] ؛ صاروا يقولون إنهم مَعْصُومون ، يعلمون الغيوب ، وصَارَ مَنْ صار منهم يَعْبُدهم ويَعْتَقِدُ فيهم الإلهية كما كانت « الغالية » تعتقد في « علي » وغيره الإلهية أو النبوة .

---

(١) « القرامطة الباطنية » : سُمُّوا بذلك ؛ لأنهم يقولون إن للنصوص الشرعية ظاهرا وباطنا وإن الباطن يجري من الظاهر مَجْرى اللب من القشر ، وإن لكل تنزيل تأويلا ؛ ففسروا الشريعة حسب أهوائهم وعقولهم فاستباحوا المحرمات والفواحش ، واعتقدوا بإلهين قديمين لا أول لوجودهما وسموهما : العقل والروح ، وقولهم في النبوات قريب من قول الفلاسفة ؛ ينكرون الوحي ومجيء الملائكة على الرسول بالوحي والمعجزات واتفقوا على إنكار القيامة وأمور الآخرة .

وهم فرق متعددة كما يقول المؤرخون ويذكرون لهم ألقابا كثيرة كما يذكر شيخ الإسلام دائما تدل على أنهم يُدْرَجون تحت وصف الباطنية وأظهر أكثرها التشيع ، فمنهم القرامطة والاسماعيلية والنصيرية والملاحدة والإباحية وغيرهم .

وراجع : « بيان مذهب الباطنية وبطلانه » لمحمد بن الحسن الديلمي ص (٣) و « الفرق بين الفرق » ص (٢٦٦ ، ٢٧٧ - ٢٧٨) و « الملل والنحل » (٢ / ٢٩)

(٢) يقول شيخ الإسلام عن معتقد الفلاسفة : « ليس للفلاسفة مذهب معين ينصرونه ، ولا قول يتفقون عليه في الإلهيات والمعاد والنبوات والشرائع بل وفي الطبيعيات والرياضيات بل ولا في كثير من المنطق ولا يتفقون إلا على ما يتفق عليه جميع بني آدم من الحسيات المشاهدة والعقليات التي لا ينازع فيها أحد » .

وقال أيضا : « لكن الذي لا ريب فيه أن هؤلاء أصحاب التعاليم كأرسطو وأتباعه كانوا مشركين يعبدون المخلوقات ولا يعرفون النبوات ولا المعاد البدني وأن اليهود والنصارى خير منهم في الإلهيات والنبوات والمعاد » .

« منهاج السنة » (١ / ٣٥٧ ، ٣٦٤) .

انحراف الإمامية الإثنى عشرية في العصمة والغيبة

٤٥- وأمَّا « الإمامية الاثنا عشرية » الذين لا يقولون بإمامة « إسماعيل بن جعفر » ، بل بإمامة « موسى بن جعفر » ، فهم إنْ كانوا لا يقولون بإلهية علي ولا نُبوته ؛ فهم يقولون بالعصمة حتى في المنتظر الذي دخل في سرداب « سامراء » سنة ستين ومائتين ، وهو طفل غير مُمَيِّز ؛ قيل : كان له سنتان . وقيل : ثلاث سنين . وقيل : خمس .

٤٦- ويقولون : إِنَّه إمام معصوم ، لا يجوز عليه الخطأ .

٤٧- ويقولون : إنَّ الإيمان لا يتم إلا به ، ومَن لم يؤمن / به فهو كافر . / لوحة و٥ /

٤٨- وقد عَلِمَ أهل العلم بالأَنساب [أن][أ] ابن الحسن بن علي العسكري أباه لم يكن له نَسْل ولا عَقِب ، ولو كان له ولد صغير لكان تحت الحجْر على مَالِهِ ، وأن يحضنه من يستحق الحضانة ، فلا يكون له ولاية لا على نفسه ولا على ماله حتى يَبْلُغ ويُؤْنَسَ منه الرُّشد ، فحينئذٍ يُسَلَّم إليه ماله !!

فكيف يكون لِمِثْل هذا ولاية على المسلمين فضلاً عن أنْ يكون مَعْصُومًا ، فضلاً عن أنْ يكون اتِّباعه رُكْنًا في الإيمان ؟[1] .

(١) راجع الرد على خُرافات الرافضة في العِصْمة والغيبة في : « أُصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية عرض ونقد » للدكتور ناصر بن عبد الله القفاري (٣ / ٧٨٣ - ٧٩٢) و (٣ / ٨٢١ - ٨٩٩) .

[أ] مابين المعقوفتين زيادة يستقيم بها السياق .

ابن التومرت وغلو اتباعه

٤٩ـ ثم لَمَّا صار مثل هذا يدعى ادَّعى ابن التومـرت[1] صاحب « المرشدة » أنه المهدي الذي بَشَّرَ به النبي ﷺ ، وكان يُقَال في الخطبة له : « المَهْدي المعلوم والإمام المَعْصُوم » .

٥٠ـ حتى رفع ذلك ، وَصَار طائفة من الغلاة في مشايخهم يعتقد أحدهم في شيخه نحو ذلك ؛ فإمَّا أنْ يقول هو معصوم أو يقول هو محفوظ ، والمعنى عنده وَاحِد

وإما أنْ يُنْكِر ذلك بِلِسَانِهِ ولكن يُعَامِله مُعَاملة المَعْصُوم .

---

(١) **ابن التومرت** : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تُومَرت البربري المصمودي الهرغي الخارجُ بالمغرب المدعي أنه علوي حَسني وأنه الإمام المعصوم المهدي . . قال الحافظ الذهبي : « وكان لهجا بعلم الكلام ، خائضا في مزالٌ ، ألف عقيدة لقبها بـ « المرشدة » فيها توحيد وخير بانحراف ، فَحَمَل عليها أتباعه ، وسمَّاهم الموحدين ، ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم ، وأباح دمه ، نعوذ بالله من الغي والهوى ، وكان خشن العيش فقيرًا قانعًا باليسير مقتصرًا على زي الفقر ، لا لذة له في مأكل ولا منكح ولا مال ولا في شيء غير رياسة الأمر حتى لقي الله ؛ لكنه دخل والله في الدماء لنيل الرياسة المُردية . . » « سير أعلام النبلاء » (١٩ / ٥٣٩ – ٥٥٢) . وذكر الذهبي شيئا من سيرته فلتراجع .

وقد أودع « المرشدة » بتمامها ابن رشيد في رحلته المسماة بـ « ملء العيبة » (٥ / ٣٤٥ ـ ٣٤٦) والسبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٨ / ١٨٥ ـ ١٨٦) .

وقد بيَّن شيخ الإسلام انحرافه في العقيدة في جواب له عن سؤال وُجِّه إليه عن أصل المرشدة وتأليفها وهل تجوز قراءتها أم لا ؟ وهو مطبوع ضمن « مجموع الفتاوى » (١١ / ٤٧٦ ـ ٤٩١) وقد طبع مفردًا .
=

٥١ـ فهؤلاء إذا كان أحدهم يعتقد في بعض الرِّجال المؤمنين أنهم مَعْصُومون من الذُّنوب ، بل ومن الخطأ ، كيف لا يعتقدون ذلك في الأنبياء ؟! فَغُلوهم فيمن غَلُوا فيه من أئمتهم أهل المَشْيَخة أو النَّسب يُوجِب عليهم أنْ يغلوا في الأنبياء بطريق الأَوْلَىٰ !!

٥٢ـ فإن كان من المسلمين ؛ اعتقدوا أنَّ الأنبياء أفضل منهم وإن كانوا ممن يعتقد فيهم في الشيخ والإمام أنه أفضل من النبي ، كما يقول ذلك « المتفلسفة » و « الشيعة » و « غلاة المتصوِّفة الاتِّحادية وغير الاتِّحادية » ؛ فهم لابد أن يُقِرُّوا الغُلُو في الأنبياء حتى تُوافقهم الناس على / الغلو في أئمتهم . / لوحة ٥أ /

= وبشأن عقيدته المنحرفة يقول شيخ الاسلام في « درء التعارض » (٣ / ٤٣٨) : « وهذا هو الذي سلكه نفاة الصفات ويسمون نفي الصفات توحيدًا وهذا هو الذي سلكه أبو عبد الله محمد بن تومرت الملقب عند أصحابه بالمهدى وأمثاله من نُفَاة الصفات المسمين ذلك توحيدًا ولقب ابن التومرت اصحابه بذلك إذ كان قوله في التوحيد قول نفاة الصفاة جهم وابن سينا ويقال انه تلقى ذلك عمَّن يوجد في كلامه موافقة الفلاسفة تارة ومخالفتهم اخرى قلت ولهذا رأيت لابن التومرت كتابًا في التوحيد صرَّح فيه بنفي الصفات .. ولهذا كان حقيقة قوله موافقًا لحقيقة قول ابن سبعين والقائلين بالوجود المطلق موافقة لابن سينا .. » وراجع : « درء التعارض » (٥ / ١٩) وقال في « مجموع الفتاوى » (٣٥ / ١٤٢) : « ومذهبه فى الصفات مذهب الفلاسفة » .
وراجع : « النبوات » ص (٨٨) و « درء تعارض العقل » (١٠ / ٢٦١ ، ٣٠٠) و « بيان تلبيس الجهمية » (١ / ٤٦٥ ، ٤٧٠) و « النبوات » (١ / ٨٨) و « منهاج السنة » (٤ / ١٦٧ ، ٨ / ٢٥٨) .

غلو النصرانية في عيسى عليه السلام

٥٣- وهذا كله من شُعَب « النَّصْرانية » الذين وَصَفَهُم اللَّهُ بالغُلُو في القرآن وذَمَّهُم عليه ، ونَهاهُم فقال : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا * لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴾ الآية [النساء : ١٧١ - ١٧٢] .

٥٤- وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

٥٥- وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تطْرُوني كَمَا أطْرَت النَّصارَىٰ عِيسىٰ بنُ مَرْيم ؛ فإِنَّما أَنَا عَبْد ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّه وَرَسُوله »[1] .

---

(١) البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥) من حَديث ابن عَبَّاس عَنْ عُمَر رضي الله عنه .

* قال الحافظ رحمه الله : « قَوْله : « لا تُطْرُوني » بِضَمّ أوّله ، وَالإِطْرَاء المَدْح بِالْبَاطِلِ تَقُول أَطْرَيْت فُلانًا مَدَحْته فَأَفْرَطْت فِي مَدْحه » . « فتح الباري » (٦ / ٤٩٠) .

٥٦- وقال : « إِيَّاكُم والغُلو في الدِّين ، فإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم الغُلُو في الدِّين »[١] .

٥٧- وهذا قَالَهُ لهم بِسبب رَمْي الجمار ، لئلا يَغْلُوا فيها ، فكيف فيما هو أعظم من ذلك ؟!

٥٨- وهؤلاء أهل الغُلو « النَّصارىٰ » ومَن شَابَهَهم من هذه الأمة في الغلو ؛ كما ثبت عنه في « الصحيحين » أنه قال : « لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُم ، حُذْو القُذَّة بالقُذَّة ، حَتّى لَوْ دَخَلُوا جُحْر ضَبٍّ لَدَخَلْتُموه »[٢] .

هم قَصَدُوا تعظيم الأنبياء والصالحين بالغُلو فيهم فَوَقَعُوا في تكذيبهم وبُغْضهم ما جاءوا به .

٥٩- فإنَّ « المسيح » قال للنصارىٰ كما أخبر اللّه عنه أنه ؛ / قال : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ / لوحة و٦ /

(١) رواه أحمد (١ / ٢١٥ ، ٣٤٧) والنسائي (٥ / ٢٦٨ ، ٢٦٩) وابن ماجه (٣٠٢٩) وصححه ابن خزيمة (٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨) وابن حبان (٣٨٧١) والحاكم (١ / ٤٦٦) من طريق أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) البخاري في الاعتصام (٧٣٢٠) ومسلم في العلم (٢٦٦٩) (٦) بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري ، وأما اللفظ المذكور فهو من رواية شداد بن أوس عند أحمد (٤ / ١٢٥) والطبراني (٧ / ٢٨١) بلفظ : « ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلو من قبلهم حذو القذة بالقذة » . وراجع : « مجمع الزوائد » (٤ / ١٤٥) .

شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

٦٠ـ وقال « المسيح » : ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٣٠] .

٦١ـ والغُلاة فيه كذَّبوه ، وعَصوه ، فقالوا : ماهو عبد اللّه بل هو اللّه ، وأشركوا به الشِّرك الذي نَهاهُم عنه .

إثبات مشابهة الغالية في علي رضي الله عنه لليهود والنصارى

٦٢ـ وكذلك « الغالية » في « عَليّ » وفي غيرهم من أهل العلم والإيمان .

٦٣ـ و « علي » عليه السلام يقول : « لا أُوتَىٰ بِأَحَدٍ يُفَضِّلُني عَلَى أَبي بَكْر وَعُمر إِلَّا جَلَدته حَدَّ المُفْتري »[1] .

٦٤ـ وحَرَّق « الغَالية » فيه بالنَّار .

٦٥ـ ويقول : ما نقل عنه من نحو ثمانين وجهًا : « خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّة

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١ / ٨٣) وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٥٧٥) والبيهقي في الاعتقاد (١ / ٣٥٨) وضعف سنده الألباني في « تخريج السنة » وقال الهيثمي في « الصواعق المحرقة » (١ / ١٧٧) : « و صَحَّحَ الذهبي وغيره طُرقًا أخرى عن علي بذلك وفي بعضها : « ألا وإنه بلغني أن رجالا يفضلوني عليهما فمن وجدته فضلني عليهما فهو مُفْتَر عليه ما على المفتري ألا ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت ألا وإني أكره العقوبة قبل التقدم » ، و أخرج الدارقطني عنه : « لا أَجِدُ أحدا فضَّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري » .

بَعْد نَبِيّها : أَبُو بَكْرٍ ، ثم عُمر »(١) .

٦٦ـ وَيَذكر ذلك لابنه محمد بن الحنفية كما رواه البخاري في الصَّحيح عنه(٢) .

٦٧ـ و « الشيعة » تُكَذِّبه ، وتُخَالفه ، فهم معه كـ « النصارىٰ » مع « المسيح » ، و « اليهود » مع « مُوسىٰ » .

٦٨ـ وأُولئك أتباع الشيوخ الصَّالحين المهتدين يَغْلُون[أ] فيهم ويتركون اتباعهم على الطريقة التي يحبها اللّه ورسوله .

٦٩ـ وهذا بَابٌ دَخَلَ فيه الشيطان على خَلْقٍ كثير ، فأضلَّهم حتى يجعل أحدهم قول الحق تَنَقُّصًا له .

٧٠ـ فإذا قيل للنصارىٰ في المسيح : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة : ٧٥] ؟ قالوا : هذا تَنْقيص بالمسيح وسُوء أَدب معه ؛ وهم مع هذا

---

(١) وراجع : « منهاج السنة » (١ / ٣٠٨ ، ٢ / ١٣٨) .

(٢) البخاري (٣٦٧١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَال : قُلتُ لِأَبِي : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ؟ قَال : أَبُو بَكْرٍ . قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَال : ثُمَّ عُمَرُ . وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ . قُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ ؟ قَالَ : « مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

[أ] في نسخة الأصل : « يعدلون » وما أثبته من « المختصر » .

يشتمون اللَّه ويَسُبُّونه مَسبّة مَا سَبَّهُ إيَّاها أَحَدٌ من البشر !!

٧١ـ كما كان معاذ بن جبل يقول في النَّصارىٰ : « لا تَرْحَمُوهم فَلَقَد سَبُّوا اللَّه مَسَبَّة مَا سَبَّه إيَّاها أَحَدٌ من البَشَر »[1] .

/ لوحة ظ٦ /

٧٢ـ وفي الصَّحيح عن النبي ﷺ / أنه قال : يقول اللَّه تعالى : « شَتَمَني ابنُ آدم وَمَا يَنْبَغي له ذلك ، وَكَذَّبني ابن آدم وَمَا يَنْبَغي لَهُ ذَلك ، فَأَمَّا شَتْمه إيَّاي فقوله : إن لي وَلَدًا ؛ وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَد ، الَّذي لَم يَلِد ولم يولد ، وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَد ، وأما تَكْذِيبُه إيَّاي فقوله : لَن يُعِيدني كَمَا بَدَأَني ؛ أَوَ لَيْسَ أوَّل الخَلْق بِأَهْون عَلَيَّ مِن إعَادَتِهِ »[2] .

« الغالية » مُجمعون بين شتم الرب وتكـذيبه

٧٣ـ وهؤلاء « الغالية » مُجمِعُون بين شتم الرَّب وَتَكْذِيبه .

٧٤ـ وهكذا « الغَالِية » المُنتَسِبُون إلى هذه الأمة تجد أحدهم يَغْلُو في قُدْوَته حتى يَكْره أنْ يُوصَف بما هو فيه ويُقَال عليه الحق .

وهو مع هذا يقول في اللَّه العَظَائم ؛ التي مَا قَالَتها فيه لا

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٢٧ / ٢٤٠) و « الجواب الصحيح » (٣ / ١٠٠ ؟ ٤ / ١٥٥ ؟ ٤٥٧) و « بغية المرتاد » (١ / ٥٠٣) و « هداية الحيارى » (١ / ١٤٠) و « بدائع الفوائد » (٤ / ٩٦٢) و « إغاثة اللهفان » (٢ / ٢٨٣) فقد نسبه لعمر بن الخطاب بلفظ : « أَهِينوهم ولا تَظْلموهم فلقد سَبُّوا الله مَسَبَّةً مَا سَبَّهُ إيَّاها أحد من البشر » .

(٢) البخاري في التفسير (٤٩٧٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، مع تقديم وتأخير .

« اليهود » ولا « النَّصارىٰ » .

٧٥ـ حتى يقول : إنَّ اللَّه مَوْصُوف بِكُلِّ ذم وكل عَيْبٍ كما هو موصوف بكل حَمْدٍ ومَدْحٍ ، وأنه هو إبليس وفرعون والأصنام[أ] .

٧٦ـ واللَّه سبحانه عَابَ على المشركين ما هو دون هذا ؛ حيث قال : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٦] .

٧٧ـ وقال : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

٧٨ـ وهؤلاء يُرِيدُون أنْ يقال في أَئِمَّتهم الحق ، ويقولون على اللَّه الباطل ، ويرضون بأن يُسَبّ اللَّه ويُشْتَم ولا يَرْضَوْن بأن يُسَب مَتْبوع أحدهم على ما افتراهُ على اللَّه ورسوله .

٧٩ـ بل لا يرضون أنْ يُقَال فيه الحق ، أو أن يضاف إليه خطأ جائر عليه وَوَاقِع منه .

[أ] في الأصل هنا جملة « ما قالته النصارىٰ في المسيح » . وفوقها علامة « ط » التي تشير إلى أنها خطأ . راجع : « توثيق النصوص » للدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ص (٢٠٤) .

٨٠ـ وقال تعالىٰ حكاية عن « الخليل » عليه السلام : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[أ] [الأنعام : ٨١ ـ ٨٢] .

٨١ـ كان المشركون يُخَوِّفُون المؤمنين بآلهتهم ، ويقولون : إنكم إذا لم تتخذوها شُركاء وشُفَعَاء فإنها تَضُركم ؛ فأنكر « الخليل » عليه السلام وقال : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾ / [الأنعام : ٨١] .

لوحة ٧و /

أي : كيف أخاف ماتدعونه من دون اللَّه ، وهو لا يَضُرُّ ولا ينفع إلا بإذن اللَّه ، وأنتم لا تخافون اللَّه حيث أشركتم به فجعلتم له أندادًا فأعدلتموهم به ، تدعونهم من دونه وتخافونهم ، وترجونهم ، وهو لم ينزل بذلك عليكم سُلْطانًا وهو الكتاب المُنَزَّل من السماء : ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٨١]

٨٢ـ وفي « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : لَمَّا نَزَلَت هذه الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

شَقَّ ذلك على أَصْحاب النبي ﷺ وقالوا : أَيُّنا لَم يَظْلم نَفْسَهُ ؟

فقال النبي ﷺ : « إنَّما هو الشِّرك ؛ ألم تَسْمَعُوا إلى قول العبد الصَّالح : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] »[(١)].

٨٣ـ وهذا بابٌ يَطُولُ وَصْفُه ، وإنما المقصود التنبيه عليه .

اتفاق السلف على أن من سوى الأنبياء ليس بمعصوم

إذا عُرِفَ هذا : فقد اتَّفَقَ سلف الأمة وأئمتها وجميع الطوائف الذين لهم قول يُعْتَبر : أنَّ مَن سِوَىٰ الأنبياء ليس بِمَعْصُوم ؛ لا من الخطأ ، ولا من الذُّنوب ، سواء[أ] كان صدِّيقًا ، أو لم يَكُن ، ولا فَرْقَ بين أن يقول هو بمَعْصُوم من ذلك أو مَحْفُوظ من ذلك أو مَمْنُوع من ذلك .

/ لوحة ٧ظ /

٨٤ـ قال الأئمة : « كُلُّ أَحَدٍ / يُؤْخَذُ من قوله ويُتْرَك ، إلا رسول اللَّه ﷺ »[(٢)] .

---

(١) البخاري في استتابة المرتدين (٦٩٣٧) ومسلم في الإيمان (١٢٤) (١٩٧) .

(٢) قال العلامة الألباني رحمه الله في كتابه الفريد « صفة صلاة النبي ﷺ » ص (٤٩) : « نسبة هذا إلى مالك رحمه الله هو المشهور عند المتأخرين ، وصححه عنه ابن عبد الهادي في « إرشاد السالك » (٢٢٧ / ١) وقد رواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢ / ٩١) وابن حزم في « الإحكام » (٦ / ١٤٥ ، ١٧٩) من قول الحكم ابن عتيبة ومجاهد ، وأورده تقي الدين السبكي في « الفتاوى » (١ / ١٤٨) من قول ابن عباس مُتَعَجِّبًا من حُسْنِه ، ثم قال : « وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد وأخذها منهما مالك رضي الله عنه واشتهرت عنه » قلت (أي الألباني) : ثم أخذها عنهم الإمام أحمد ، فقد قال أبو داود في « مسائل الإمام أحمد » ص (٢٧٦) : سمعت أحمد يقول : « ليس أحد إلا ويُؤْخَذُ من رأيه ويُتْرَك ، مَا خَلا النبي ﷺ » .

[أ] في الأصل : « بمعصوم » وما أثبته من المختصر .

٨٥ـ فإنه هُو الذي أَوْجَب اللَّه على أهل الأرض الإيمان به وطاعته بحيث يجب عليهم أن يُصَدِّقوه بكل مَا أَخْبر ، ويطيعوه في كل مَا أَمَرَ .

طاعة الرسول واتِّباعه في القرآن

٨٦ـ وقد ذَكَرَ اللَّه طاعته واتِّباعه في قريب من أربعين مَوْضعًا(١) في القرآن :

٨٧ـ كما قال : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

٨٨ـ وقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٦٤]

٨٩ـ وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

٩٠ـ وقال تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

---

(١) راجع : « مجموع الفتاوى » (١ / ٤) و« الفتاوى الكبرى » (٢ / ٢٣٩) ، وفي « بغية المرتاد » (١ / ٥٠٧) ذكر أنها في نحو ثلاثين موضعا ، وللإمام أحمد كتاب يسمى « طاعة الرسول » . راجع : « الطرق الحكمية » ص (١٠٧) و « إعلام الموقعين » (٢ / ٢٩٠) .

٩١ـ وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] .

٩٢ـ وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

٩٣ـ وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[النساء : ٥٩]

٩٤ـ وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] .

٩٥ـ وطاعة اللّه والرَّسول هي عبادة اللّه التي خلق لها الجن والإنس ، فهي غايتهم التي يُحِبُّها اللّه ورسوله ويرضاها ويأمرهم بها ؛ وإن كان قد شاء من بعضهم ما هو بخلاف ذلك وخَلَقَهم له ؛ فتلك غاية شَاءَهَا وَقَدَّرَهَا ، وهذه غاية يحبها ويأمر بها ويرضاها .

والكلام على هذا مَبْسُوط في غير هذا الموضع .

معنى العبادة

٩٦ـ **والعبادة للّه** : أن تجمع غاية الحب لَهُ بِغَاية الذُّلِّ له[١]

---

(١) قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « أصل العبادة التَّذَلُّل والخُضُوع » (٤ / ١٩٥) .
وقد عرَّفَها أيضا شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعريف آخر شهير فقال : « هى اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال والاعمال الباطنة والظاهرة . . » « العبودية ضمن مجموع الفتاوى » (١٠ / ١٤٩) .

/ لوحة ٨و /

٩٧- فكل خير ، وكل كمال ومقام وحَال قرب إليه ونحو / ذلك مما يُحْمد من العباد ، ويُطلب منهم ، ويُرضى لهم ؛ فهو داخل في طاعة اللَّه ورسوله ، أو مُسْتَلْزِم لذلك .

اتّفاق الأمة على أنه ﷺ مَعْصُوم فيما يُبَلِّغه عـن ربه

٩٨- ولهذا اتَّفقت الأمة على أنه مَعْصُوم فيما يُبَلِّغه عن ربه تبارك وتعالى ، فإن مَقْصُود الرسالة لا يَتِم إِلَّا بذلك .

٩٩- وكل ما دلَّ على أنه رَسُول اللَّه من معجزة وغير معجزة فهو يدلُّ على ما قال ﷺ : « فَإِنِّي لَن أَكْذِب عَلَى اللَّه »[(١)] .

١٠٠- وقد اتفقوا أنه لا يُقَرُّ على خطأ[أ] في ذلك ، وكذلك لا يُقَرُّ على الذنوب ؛ لا صغائرها ولا كبائرها .

١٠١- ولكن تَنَازَعُوا : هل تقع منهم بعض الصغائر مع التوبة منها أو لا تقع بحال ؟

١٠٢- فقال كثير من المتكلمين من « الشيعة » و « المعتزلين » وبعض

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦١) (١٣٩) عن مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ قَال : مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ . فَقَالَ : مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالُوا : يُلَقِّحُونَهُ ؛ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ : فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ : « إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

[أ] في المختصر : « الخطأ » بالألف واللام .

« متكلمي أهل الحديث » : لا تقع منهم الصَّغيرة بحال .

١٠٣ـ وزادت « الشيعة » حتى قالوا : لا يَقَع منهم [لا][أ] خطأ ولا غير خطأ .

١٠٤ـ وأمَّا السَّلف وجمهور أهل الفقه والحديث والتفسير وجمهور مُتَكَلِّمي أهل الحديث من أصحاب الأشعري[ب] وغيرهم : فلم يمنعوا الوُقُوع إذا كان مع التَّوبة ، كما دلَّت عليه النُّصُوص ؛ نصوص الكتاب والسُّنَّة .

١٠٥ـ فإن اللّه ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

١٠٦ـ وإذا ابْتُلِيَ بعض الأكابر بما يَتُوب منه ؛ فَذَاكَ لكمال النهاية ، لا لِنَقْص البِدَاية .

١٠٧ـ كما قال بعضهم : « لو لم تَكُن التَّوبة أحبَّ الأشياء إليه لما ابْتَلَى بالذَّنب أَكْرَم الخَلْق عليه »(١) .

١٠٨ـ وفي الأثر : « إنَّ العبد لَيَعْمل السَّيئة فيدخل بها الجنة ، وإنَّ

(١) راجع أيضا : « مجموع الفتاوى » (٤ / ٣٧٨ ، ١٠ / ٢٩٤) ، و « منهاج السنة » (٢ / ٤٣٢ ، ٦ / ٢١٠) ، و « شفاء العليل » (١ / ٢٢٣) ، و « طريق الهجرتين » (١ / ٣٥٧) ، و « مدارج السالكين » (١ / ٢٩٧) ، و « مفتاح دار السعادة » (١ / ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١) .

[أ] ما بين المعقوفتين من المختصر .

[ب] في المختصر : « الأشعرية » بدل « أصحاب الأشعري » .

العبد ليعمل الحَسَنة فيدخل بها النَّار »[١] .

يعني : أنَّ السَّيِّئة يذكرها ويَتُوب منها فيدخله ذلك الجنة والحسنة يُعجب بها ويَسْتَكْبر فيدخله ذلك النار .

/ لوحة ٨ظ / ١٠٩ـ وأيضًا : فالحَسَنَات والسَّيِّئَات تتنوع بحسب / المقامات كما يقال : « حَسَنَاتُ الأَبْرار سَيِّئات المُقَرَّبين »[٢] .

---

(١) أورده أيضًا شيخ الإسلام في « التحفة العراقية » (١ / ٥٧)عن سعيد بن جبير : « إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة ، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه ، ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون نصب عينه فيستغفر الله ويتوب إليه منها » . وبنحوه في « صفة الصفوة » (١ / ١٦٤) عن أبي حازم .

معنى قولهم حسنات الأبرار سيئات المقربين

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله : « هذا اللفظ ليس محفوظا عمن قوله حجة ، لا عن النبي ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها وإنما هو كلام ، وله معنى صحيح ، وقد يُحْمَل على معنى فاسد .

أما معناه الصحيح فوجهان :

أحدهما : أن الأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك المحرمات وهذا الاقتصار سيئة في طريق المقربين ومعنى كونه سيئة أن يخرج صاحبه عن مقام المقربين فَيُحْرَم درجاتهم وذلك مما يسوء من يريد أن يكون من المقربين ، فكل من أحب شيئا وطلبه إذا فاته محبوبه ومطلوبه ساءه ذلك فالمقربون يتوبون من الاقتصار على الواجبات ، لا يتوبون من نفس الحسنات التي يعمل مثلها الأبرار ، بل يتوبون من الإقتصار عليها ، وفرق بين التوبة من فِعْل الحسن وبين التوبة من تَرْك الأحسن والاقتصار على الحَسَن .

الثاني : أن العبد قد يُؤْمَر بفعل يكون حسنًا منه إما واجبًا وإما مستحبًا ؛ لأن ذلك مبلغ علمه وقدرته ، ومن يكون أعلم منه وأقدر لا يؤمر بذلك ، بل يؤمر بما هو أعلى منه فلو فعل هذا ما فعله الأول كان ذلك سيئة .

مثال ذلك : أن العامي يؤمر بمسألة العلماء المأمونين على الإسلام والرجوع =

. . . .

= إليهم بحسب قوة إدراكه ، وإن كان في ذلك تقليد لهم ، إذا لا يؤمر العبد إلا بما يقدر عليه ، وأما العلماء القادرون على معرفة الكتاب والسنة والاستدلال بهما فلو تركوا ذلك وأتوا بما يؤمر به العامي لكانوا مسيئين بذلك ، وهذا كما يؤمر المريض أن يُصَلِّي قائمًا فإن لم يستطع فقاعدًا ، فإن لم يستطع فعلى جنب ، وكما يُؤمر المسافر أن يُصَلِّي الظهر والعصر والعشاء ركعتين في السفر ، وهذا لو فعله المقيم لكان مسيئا تاركا للفرض بل فرضه أربع ركعات . .

وأما المعنى الفاسد : فأن يظنَّ الظان أن الحسنات التي أمر الله بها أمرًا عامًّا يدخل فيه الأبرار ويكون سيئات للمقربين ، مثل من يظن أن الصلوات الخمس ومحبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين لله ونحو ذلك هي سيئات في حق المقربين . فهذا قول فاسد غلا فيه قوم من الزنادقة المنافقين المتنسبين إلى العلماء والعُبَّاد ، فزعموا أنهم يصلون إلى مقام المقربين الذي لا يؤمرون فيه بما يؤمر به عموم المؤمنين من الواجبات ولا يحرم عليهم ما يحرم على عموم المؤمنين من المحرمات كالزنا والخمر والميسر وكذلك زعم قوم في أحوال القلوب التي يؤمر بها جميع المؤمنين أن المقربين لا تكون هذه حسنات في حقهم ، وكلا هذين من أخبث الأقوال وأفسدها . . » « رسالة في التوبة ضمن جامع الرسائل » (١ / ٢٥١ ـ ٢٥٥) .

* وقال الألباني في « الضعيفة » رقم (١٠٠) : « باطل لا أصل له » . وقال أيضًا (١ / ١٣٦) : إن معنى هذا القول غير صحيح عندي ؛ لأن الحسنة لا يمكن أن تصير سيئة أبدًا مهما كانت منزلة من أتى بها ، وإنما تختلف الأعمال باختلاف مرتبة الآتين بها إذا كانت من الأمور الجائزة التي لا تُوصف بحُسْنٍ أو قُبْحٍ ؛ مثل الكذبات الثلاث التي أتى بها إبراهيم عليه السلام ، فإنها جائزة لأنها كانت في سبيل الإصلاح ومع ذلك فقد اعتبرها إبراهيم عليه السلام سيئة واعتذر بسببها عن أن يكون أهلا لأن يشفع في الناس صلى الله عليه وعلى نبينا وسائر إخوانهما أجمعين . وأما اعتبار الحسنة التي هي قُربة إلى الله تعالى سيئة بالنظر إلى أن الذي صدرت منه من المقربين فمما لا يكاد يُعْقَل » .

وراجع أيضا : « مجموع الفتاوى » (٨ / ٧٧ ، ١٥ / ٥١ ، ١٨ / ٣٨٣) و « منهاج السنة » (٢ / ٤٠٧) و « مدارج السالكين » (١ / ٢٥٧ ، ٢ / ٢٨٥) .

١١٠ـ فمن فَهِمَ مَا تَمْحوه التَّوبة وترفع صاحبها إليه من الدرجات وما يتفاوت الناس فيه من الحَسَنَات والسَّيِّئات ؛ زَالَت عنه الشُّبهة في هذا الباب ، وأَقَرَّ الكتاب والسُّنَّة على ما فيها من الهدىٰ والصَّواب .

صور من جهل الغلاة

١١١ـ فإنَّ « الغلاة » يَتَوَهَّمُون أنَّ الذَّنب إذا صَدَرَ من العبد كان نقصًا في حَقِّه لا يَنْجَبِر ، حتى يجعلوا من فضل بعض الناس أنَّه لم يسجد لصنم قط[أ] ؛ وهذا جَهْلٌ منهم ؛ فإنَّ المهاجرين والأنصار الذين هم أَفْضَل هذه الأُمَّة هم أفضل من أولادهم وغير أولادهم مِمَّن وُلِدَ على الإسلام ، وإن كانوا في أول الأمر كانوا كُفَّارًا يعبدون الأَصنام ، بل المُنْتَقِل من الضلال إلى الهدىٰ ، ومن السَّيِّئات إلى الحَسَنَات يُضاعف له الثَّواب .

١١٢ـ كما قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

١١٣ـ وقد ثبت في الصحيح(١) : أنَّ اللّه يوم القيامة يظهر لعبده فيقول : « إِنِّي قد أَبْدَلْتُكَ مَكَان كُلّ سَيِّئة حَسَنة » ، فحينئذٍ

(١) مسلم في الإيمان (١٩٠) (٣١٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

[أ] في المختصر : « حتى يجعلوا من لم يسجد لصنم أفضل منه » .

يطلب كبائر ذُنوبه .

١١٤ـ وقد ثبت في الصِّحاح[1] من غير وجه عن النبي ﷺ : أنه أخبر أنَّ اللَّه أشدُّ فرحًا بِتَوْبة عَبْده من رَجُلٍ أَظَلَّ راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه ، فطلبها فلم يجدها ، فَنَام تَحت شَجَرة يَنْتَظر المَوْت ، فَلَمَّا اسْتَفَاقَ إِذَا بِدَابَّتِهِ عليها طَعَامَهُ وَشَرَابه ، فاللَّه أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبة عَبْدِه مِن هَذَا بِرَاحِلَتِهِ .

منزلة التائب عند الله

١١٥ـ وهذا أَمْرٌ عَظِيمٌ إلى الغاية ، فإذا كانت التوبة بهذه المنزلة[أ] كيف لا يكون صاحبها مُعَظَّمًا عند اللَّه ؟!

/ لوحة ٩ و /

١١٦ـ وقد قال تعالى / : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢ ، ٧٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٠٩) ومسلم في التوبة (٢٧٤٤) (٧) واللفظ له من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حين يتوب إليه مِنْ أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاة فانفلتت منه وعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُه ، فَأَيِسَ منها فأتى شجرة فاضطجع في ظِلِّها ، قد أَيِسَ من راحلته ، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ! أخطأ من شدة الفرح ! » .

[أ] في المختصر « المثابة » .

١١٧ـ فَوَصَف الإنسان بالجهل والظُّلم ، وجَعَل الفرق بين المؤمن والكافر والمُنَافق أن يَتُوب اللَّه عليه ؛ إذ لم يكن له بُدّ من الجهل والظلم .

١١٨ـ ولهذا جاء في الحديث : « كُلُّ ابْنُ آدَم خَطَّاء ، وَخَيْر الخَطَّائِين التَّوَّابُون »[١] .

تنزه كثير من عقلاء بني آدم عن الفواحش

١١٩ـ واعلم أنَّ كثيرًا من الناس يَسْبِقُ إلى ذِهْنِهِ من ذِكْرِ الذُّنوب : الزِّنا والسَّرقة ، ونَحو ذلك ، فَيَسْتَعْظم أنَّ كريمًا يَفْعل ذلك ولا يعلم أنَّ أكثر عقلاء بني آدم لا يَسْرقون بل ولا يَزْنُون حتى في جاهليتهم وكفرهم، فإنَّ أبا بكر وغيره من الصَّحابة كانوا قبل الإسلام لا يرضوا أن يفعلوا مثل هذه الأعمال .

١٢٠ـ ولما بَايَع النبي ﷺ هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية بيعة النساء على أن لا يَسْرِقن ولا يَزْنِين ، قالت : « أَوَ تَزْنِي الحُرَّة »[٢] .

١٢١ـ فما كانوا في الجاهلية يعرفون الزِّنا إلا للإِماء .

---

(١) رواه أحمد (٣ / ١٩٨) والترمذي (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١) والدارمي (٢٧٢٧) من حديث أنس رضي الله عنه ، وفي إسناده : علي بن مسعدة الباهلي ضعيف . وحسنه الألباني لشواهده في « صحيح الترمذي » (٢٤٩٩) و « صحيح ابن ماجه » (٤٢٥١) .

(٢) رواه ابن جرير في (٢٦٣٥٨) عن ابن عباس عند تفسير قوله : ﴿ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ [الممتحنة : ١٠] . وفي « الإصابة » لابن حجر (٨ / ١٥٥) : « وهو عند ابن سعد بسند صحيح مرسل عن الشعبي » .

١٢٢ـ ولهذا قولهم : « حُرَّة » يُرَادُ به : العَفِيفة ؛ لأنَّ الحرائر كُنَّ عَفَائف .

١٢٣ـ وأما اللُّواط : فأكثر الأُمم لم تكن تعرفه ، ولم يكن هذا يُعرف في العرب قَطّ[1] .

المتعففون عن الفواحش وذنوبهم في باب الإيمان بالله ..

١٢٤ـ ولكن الذُّنُوب التي هي في باب الضلال في الإيمان باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما يدخل في ذلك من البدع التي هي من جنس العُلُو في الأرض والفخر والخُيلاء والحَسَد والكِبْر والرِّياء ونحو ذلك هي في الناس الذين هم مُتَعَفِّفُون عن الفَوَاحش .

---

(١) وفي ذلك يقول الخليفة الوليد بن عبد الملك رَحِمَهُ اللهُ : « لولا أن اللَّه ذَكَر قوم لُوط في القرآن مَا ظَننت أن ذَكَرًا يفعل هذا بِذَكَر » .

* قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : « فنفي عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة والفاحشة المذمومة التي عذَّب الله أهلها بأنواع العقوبات ، وأَحَلَّ بهم أنواعا من المثلات التي لم يعاقب بها أحدا من الأمم السَّالفات وهي فاحشة اللواط التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء والتجار والعوام والكتاب والفقهاء والقضاة ونحوهم إلا من عَصَم الله منهم ، فإن في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر والتعداد ولهذا تنوعت عقوبات فاعلية ولأن يقتل المفعول به خير من أن يؤتى في دبره فإنه يفسد فسادًا لا يرجى له بعده صلاح أبدا إلا أن يشاء الله ويذهب خبر المفعول به ، فعلى الرجل حفظ ولده في حال صغره وبعد بلوغه وأن يُجَنِّبه مخالطة هؤلاء المَلَاعين الذين لعنهم رسول الله ﷺ . « البداية والنهاية » (٩ / ١٦٢) . وراجع : « شذرات الذهب » (١ / ١١٢) و « تاريخ الخلفاء » (٢٢٥) و « الدارس في تاريخ المدارس » (٢ / ٢٩٦) .

/ لوحة ٥٣ /

١٢٥ـ **وكذلك** : الذُّنوب / التي هي تَرْك الوَاجِبات ؛ فإنَّ الإخلاص للَّه والتوكل على اللَّه ، والمحبة له ، ورجاء رحمة اللَّه ، وخَوْف عذاب اللَّه ، والصبر على حكم اللَّه ، والتسليم لأمر اللَّه ، كل هذا من الواجبات .

١٢٦ـ **وكذلك** : الجهاد في سبيل اللَّه ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ونحو ذلك هو من فروض الكفايات ، وتحقيق ما يجب من المعارف والأعمال يطول تفصيله في هذا السُّؤال حتى يفطن هذا ثم يفتح له الباب .

١٢٧ـ وقد ذَكَرَ اللَّه الذين وَعَدَهُم بالحُسْنَىٰ ، فلم يَنْفِ عنهم الذُّنوب ولكن ذَكَرَ المغفرة والتكفير ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣ - ٣٥] .

١٢٨ـ وقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٦] .

١٢٩ـ وقد ثبت في الصَّحيح عنه ﷺ أنه قال : « لَنْ يَدْخُل أَحَد مِنْكُم الجَنَّة بِعَملِهِ » .

قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَارَسُول اللَّه ؟

قال : « وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ »[(١)] .



(١) البخاري في المرضى (٥٦٧٣) ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٦) (٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي الباب عن عائشة : رواه البخاري (٦٤٦٧) ومسلم (٢٨١٨) (٧٨) .

وعن جابر : رواه مسلم (٢٨١٧) (٧٧) .

قوله : « يَتَغَمَّدنِي » قَالَ أَبُو عُبَيْد : « الْمُرَاد بِالتَّغَمُّدِ السَّتْر ، وَمَا أَظُنّهُ إِلَّا مَأْخُوذًا مِنْ غَمْد السَّيْف لِأَنَّك إِذَا أَغْمَدْت السَّيْف فَقَدْ أَلْبَسْته الْغِمْد وَسَتَرْته بِهِ . قَالَ الرَّافِعِيّ : فِي الْحَدِيث : أَنَّ الْعَامِل لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّكِل عَلَى عَمَله فِي طَلَب النَّجَاة وَنَيْل الدَّرَجَات لِأَنَّهُ إِنَّمَا عَمِلَ بِتَوْفِيقِ اللَّه ، وَإِنَّمَا تَرَكَ الْمَعْصِيَة بِعِصْمَةِ اللَّه ، فَكُلّ ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَته » .

« فتح الباري » (١١ / ٢٩٧) .

فصل

١٣٠ـ إذا ثبت هذا :

كيف يظلم العبد نفسه ؟

ـ فَظُلم العَبْد نفسه يكون بـ : تَرْك ما ينفعها وهي محتاجة إليه أَو بِفِعْل مَا يَضُرُّها .

ـ كما أنَّ ظلم الغير كذلك يكون : إِمَّا بِمَنْع حَقِّه أو التَّعَدِّي .

١٣١ـ والنفس إنما تحتاج من العبد إلى فِعْل مَا أَمَرَ اللَّه به .

وإنما يَضُرُّها فعل ما نَهَىٰ اللَّهُ عنه .

١٣٢ـ فَظُلْمُها لا يخرج عن :

ـ تَرْك حَسَنَة مَأمور بها .

ـ أو فعل سَيِّئة مَنْهِي عنها .

/ لوحة و١٠ /

١٣٣ـ وما يضطر العبد إليه من أكلٍ وشُرْبٍ ولِبَاسٍ وغير ذلك / هو دَاخِلٌ في هذا ؛ فإنَّ جميع ذلك هو من الواجبات المأمور بها حتى أكل المَيتة عند الضرورة يجب في المشهور من مَذهب الأئمة الأربعة[١] .

---

(١) راجع : « المغني مع الشرح الكبير » (١١ / ٧٤) و « المجموع شرح المهذب » (٩ / ٣٩ ، ٤٠) و « حاشية ابن عابدين » (٥ / ٢١٥) و « أضواء البيان » للشنقيطي (١ / ١١٠) و « بداية المجتهد » (١ / ٣٤٩) و « مجموع الفتاوى » (٢١ / ٨٠) .

١٣٤ـ قال مسروق : « مَن اضْطُرَّ إلى المَيْتة ولم يأكل حتى مَاتَ دَخَل النَّار »(١) .

١٣٥ـ **وكذلك** : ما يضرها من جنس العبادات ؛ مثل الصَّوم الذي يَزِيدُ في مَرَضِها أو يَقْتُلها ، والاغتسال بالماء البارد الذي يقتلها ، ونحو ذلك هو من ظُلمها المَحْظُور .

١٣٦ـ فاللَّه تعالى أمر العباد بما يَنْفَعُهم ونَهَاهُم عَمَّا يضرهم . كما قال قتادة : « إنَّ اللَّه لم يَأْمُر العِباد بما أَمَرَهُم به حاجة إليه ولا نَهَاهُم عما نَهَاهُم عَنْه بُخْلًا به ؛ وَلَكِن أَمَرَهُم بما فيه صَلَاحهم ، ونَهَاهُم عَمَّا فيه فَسَادهم »(٢) .

١٣٧ـ ولهذا جاء القرآن بالأمر بالصَّلاح ، والنهي عن الفساد في غير موضع ، والصَّلاح كُلّه في طاعة اللَّه ، والفساد كله في معصية اللَّه[أ] .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « الجامع » (١٠ / ٤١٣) ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٩ / ٣٥٧) عن معمر عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : « من اضطر إلى الميتة الدَّم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى يموت دخل النار » .

(٢) أورده شيخ الإسلام أيضا في « قاعدة في المحبة » (١ / ١٨٣) وفي « شرح حديث ياعبادي إني حرَّمت الظلم » (١ / ٢١٦ ، ٤٣٤ ضمن « الفتاوى الكبرى ») و « مجموع الفتاوى » (٨ / ٦١ ، ١٤ / ١٣٨ ، ٢٧ / ٩١) و « روضة المحبين » (١ / ١٢) و « طريق الهجرتين » (١ / ٢١٩) و « مفتاح دار السعادة » (٢ / ١٠) و « شفاء العليل » (١ / ٢٢٦) .

[أ] في المختصر : « والصلاح كله طاعة ، والفساد كله معصية » .

١٣٨- فالصَّلاح والطَّاعة مُتَلازِمَان ، والمعصية والفساد مُتَلازمان كتلازم الطيِّب والحِلّ ، وكل طيِّب حلال ، وكل حَلال طَيِّب وكل خبيث حَرَام ، وكل حَرَام خبيث .

١٣٩- والمعروف مُلازم مع الطَّاعة والصلاح ، والمنكر ملازم مع المعصية والفساد .

١٤٠- ولكن بعض الناس قد يَتَبَيَّن له اتِّصاف الفعل ببعض من الصِّفات قبل بعض ، كما يعلم كثيرًا من العبادات ولا يعلم ما فيها من الصَّلاح ، وكثيرًا من المحرَّمات ولا يعلم ما فيها من الفساد .

١٤١- **وكذلك** : قد يرىٰ مَصَالح كثيرة ولا يعلم أَمْر الشارع بها ، والمؤمن يعلم أنَّ اللَّه يأمر بكل مَصْلحة ، وينهىٰ عن كل مفسدة .

١٤٢- فإذا كان في بعض الأفعال رأى أنه مَصْلحة ولم يأمر به كان مخطئًا من أحد وجهين :

- إمَّا لأن يكون في نفس الأمر مَصْلحة لما ترجَّح فيه من مَفْسَدة / لا يعلمها هو .

/ لوحة ظ١٠ /

- وإمَّا أن يكون داخلًا فيها أمر اللَّه به ولم يعلم .

١٤٣ـ ولهذا تنازع العلماء في « المَصَالِح المُرْسلة »[١] التي لم يعلم أنَّ الشارع اعتبرها ولا أهدرها :

فقيل : يُسْتدلُّ بكونها مَصْلحة على أنَّ اللّه اعتبرها ؛ لأَنهُ لا يهمل المصالح .

وقيل : بل يستدل بعدم اعتبار الشَّارع لها على أنها ليست مَصْلحة ، بل مَضَرّتها راجحة ؛ إذ لو كانت مصلحتها راجحة لاعتبرها الشارع . ويتفاوت نظر الناس في ذلك بحيث يعرفها بجهة الاعتبار والإهدار .

العبد قد تجب عليه أسباب أُمور لا تجب عليه بدونها

١٤٤ـ **ومما يجب أنْ يُعرف** : أنَّ العبد قد تجب عليه أسباب أُمُور لا تجب عليه بدونها ، فإن قام بها كان مُصْلِحًا مُحْسِنًا إلى نفسه وإلا كان ظالمًا لنفسه ، وإن لم يكن تركها ظلمًا في حقِّ مَن لم يقبل تلك الأسباب ، مثل مَن وَلِيَ وِلاية .

١٤٥ـ ففي « المسند »[٢] عن النبي ﷺ أنه قال : « أَحَبُّ الخَلْقِ إلى اللّه إمامٌ عَادِل ، وأبغضُ الخَلْقِ إلى اللّه إِمَامٌ جَائِر » .

---

(١) راجع : « المسودة » (١ / ٤٠١) و « المدخل » لابن بدران (١ / ٢٩٥) و « إرشاد الفحول » (١ / ٤٠٣) .

(٢) رواه أحمد (٣ / ٢٢) والترمذي (١٣٢٩) وقال « حديثٌ حسنٌ غريبٌ » والطبراني في « الأوسط » (١٥٩١ ، ٤٧٧٠) وأبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ١١٤) وضعفه الألباني في « الضعيفة » (١١٥٦) .

١٤٦- وكذلك[أ] من لغيره عليه حُقُوق ، كالزوجة والأولاد والجيران فقد ذكر اللّه الحقوق العشرة في قوله : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾ [النساء : ٣٦]

فبدأ سبحانه بِحَقِّه .

١٤٧- كما في « الصَّحيحين »[(١)] : أنَّ النبيَّ ﷺ قال لمعاذ : « يَا مُعاذ ! أَتَدري مَا حَقُّ اللّه على عباده ؟ » .

قلت : اللّه ورسوله أعلم . قال : « أنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا يا معاذ ! أَتَدْري ما حَقُّ العباد على اللّه إذا فَعَلُوا ذلك ؟ » . قلت : اللّه ورسوله أعلم . قال : « حقّهم عليه أن لا يُعَذّبهم » .

١٤٨- فكلما ازدادت معرفة الإنسان بالنفوس ولوازمها ، وتَقَلُّب القلوب / وبِمَا عليها من الحقوق للّه ولعباده ، وبما حَدَّ لهم من الحدود ؛ علم أنه لا يخلو أحد عن ترك بعض الحقوق أو تعدِّي بعض الحدود . / لوحة ١١و /

---

(١) البخاري في الجهاد والسير (٢٨٥٦) ومسلم في الإيمان (٣٠) (٤٩) .

[أ] في الأصل : « وأولئك » ، وما أثبته من المختصر .

١٤٩- ولهذا أَمَرَ اللَّه عباده المؤمنين أن يسألوه أنْ يهديهم الصِّراط المستقيم في اليوم والليلة في المكتوبة وَحْدَها سَبع عشرة مرة .

١٥٠- وهو صِراط الذين أَنْعَم اللَّه عليهم من النَّبيين والصِّديقين والشهداء والصَّالحين ومن يُطِع اللَّه ورسوله فهم هؤلاء .

معنى الصراط المستقيم

١٥١- **فالصِّراط المُستقيم**(١) : [هو][أ] طاعة اللَّه وَرَسُوله .

وهو دين الإسلام التَّام .

وهو اتِّباع القرآن .

وهو لُزوم السُّنَّة والجماعة .

وهو طريق العُبودية ، وهو طريق الخوف والرجاء .

---

(١) قال العلامة ابن القيم رحمه الله : في الكلام على الصراط المستقيم وتعريفه : « إن الناس قد تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته ، وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي نَصَبَهُ لعباده على ألسن رسله وجعله موصلا لعباده إليه ولا طريق لهم إليه سواه بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسوله بالطاعة فلا يشرك به أحدا في عبوديته ولا يشرك برسوله أحدًا في طاعته فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول . وهذا معنى قول بعض العارفين : « إن السعادة والفلاح كله مجموع في شيئين صدق محبته وحُسْن معاملته » وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأي شيء فسر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين . ونكتة ذلك وعقده : أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك كله فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ولا تكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته والأول يَحْصُل بالتحقيق بشهادة أن لا إله إلا الله والثاني يَحْصُل بالتحقيق بشهادة أن محمدا رسول الله وهذا هو =

[أ] مابين المعقوفتين زيادة من المختصر .

١٥٢ـ ولهذا كان النبي ﷺ يقول في خطبته : « الحمد للَّه نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِره »(١) ؛ لعلمه أنه لا يفعل خيرًا ولا يجتنب شرًّا إلا بإعانة اللَّه له ، وأنه لابد أن يفعل مَا يُوجب الاستغفار .

١٥٣ـ وفي الحديث الصحيح[أ] : « سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُول العَبْد : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِله إِلا أَنْت ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعْت ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوء بِذَنْبِي ، فَاغْفِر لِي فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت »(٢) .

= الهُدي ودين الحق وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به . فَقُل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها وقطب رحاها وهي معنى قول من قال : علوم وأعمال ظاهرة وباطنة مستفادة من مشكاة النبوة ومعنى قول من قال : متابعة رسول الله ظاهرًا وباطنًا علمًا وعملاً ومعنى قول من قال : الإقرار لله بالوحدانية والإستقامة على أمره . وأما ما عدا هذا من الأقوال كقول من قال الصلوات الخمس وقول من قال حب أبي بكر وعمر وقول من قال هو أركان الإسلام الخمس التي بني عليها فكل هذه الأقوال تمثيلٌ وتنويعٌ لا تفسير مُطَابق له بل هي جزء من أجزائه وحقيقته الجامعة » « بدائع الفوائد » (٢ / ٢٧٦) . وراجع أيضا : « إغاثة اللهفان » (١ / ١٣١) و « شرح حديث مثل الإسلام » لابن رجب (١٥ ، ١٦) .

(١) جزء من خطبة الحاجة التي كان النبي يُعَلِّمها أصحابه أخرجها الترمذي (١١٠٥) وأبو داود (٢١١٨) والنسائي (٣٢٧٧) والدارمي (٢٢٠٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وللعلامة الألباني رحمه الله رسالة في الكلام على طرقها وأهميتها فلتراجع .

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه .

[أ] في المختصر : « وفي الصحيح » .

١٥٤ـ فقوله : « **أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِك عليَّ** » يتناول نعمته عليه في إعانته على الطَّاعات .

وقوله : « **أَبُوءُ لَكَ بِذَنْبي** » يُبَيِّن إِقْرَاره بالذُّنوب التي تحتاج إلى الاستغفار ، واللَّه تعالى غَفُورٌ شَكُورٌ ؛ يغفر الكثير من الزَّلَل ويشكر اليَسِير من العمل .

١٥٥ـ وجاء عن غير واحد من السلف أنه كان يقول : « إِنِّي أُصْبِحُ بين نِعْمةٍ وَذَنْب ، فَأُرِيدُ أَنْ أُحْدِث للنِّعمة شكرًا ، وللذَّنب اسْتغفارًا »[1] .

/ لوحة ١١ظ /

١٥٦ـ فقوله : « الحمد للَّه نَسْتَعِينُه / ونَسْتَغْفِره » يتناول : الشُّكر والاسْتعانة ، والاسْتغفار : « الحمد للَّه وأستغفر اللَّه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه » كما كان بعض المشايخ يُقْرِنُ بين هذه الثلاثة .

الشُّكر والاستعانة والاستغفار

فـ « **الشُّكر** » : يتناول مَا مضَىٰ من إِحْسَانِه .

و « **الاسْتغفار** » : لِمَا تَقَدَّم من إِسَاءَة العبد .

و « **الاستعانة** » : لما يَسْتقبله العبد من أُموره .

= وراجع شرحه في : « بدائع الفوائد » (/) لابن القيم و « فتح الباري » (١١ / ١٠٣) و « نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار » للسفاريني .

(١) « مجموع الفتاوى » (٨ / ١٧٤) و « رسالة في تحقيق الشكر » (١ / ١١٦) . وراجع أيضا : « عدة الصابرين » (١ / ١٠٠ ؟ ١١٤) .

١٥٧ـ وهذه الثلاث لابد لكل عبد منها دائمًا ، فمن قَصَّر في واحدٍ منها فقد ظَلَم لنفسه بحسب تَقْصير العبد .

أصل الإحسان وأصل الشر

١٥٨ـ وأَصْلُ الإحسان : هو التَّصديق بالحق ومَحَبَّته ، وأَصْلُ الشَّر : هو التَّكذيب به أو بعضه ، ويتبعه : التصديق بالباطل ومحبته .

والتَّصْدِيقُ بِالحق وحُبُّه : هو أَصْلُ العلم النَّافع والعمل الصَّالح والتكذيب به وبعضه هو من الجهل والظلم .

١٥٩ـ فالإنسان إذا لم يعلم من الحق ما يحتاج إليه أو لم يُقِرّ به أو لم يحبه ؛ كان ظالمًا لنفسه .

١٦٠ـ وإن أَقَرَّ بِبَاطِل أَوْ أحبه واتبع هواه كان ظالمًا لنفسه .

١٦١ـ فَظُلم النَّفس يعود إلى : اتِّباع الظن ، وما تهوىٰ الأنفس وهذا يكون في اتباع الآراء والأهواء .

١٦٢ـ فَأَصْلُ الشَّر : البِدَع ؛ وهو تَقْديم الرأي على النَّص واختيار الهوىٰ على امتثال الأمر ، وأَصْلُ الخَيْر : اتِّباع الهدىٰ .

١٦٣ـ كما قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ ، ١٢٤] .

١٦٤ـ قال ابن عباس : « تَكفَّل اللَّهُ لِمَن قَرأَ القُرآن ، وَعَمِلَ بِمَا فِيه أن

لا يَضلّ في الدُّنيا ، ولا يَشْقَى في الآخِرة » ثم قَرَأَ هذه الآية[١] .

الضلال والشقاء

١٦٥ـ والضَّلال والشَّقاء هو خِلاف الهدىٰ والفلاح الذي أخبر به عن المُتَّقين الذين يهتَدون بالكتاب ؛ حيث قال : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى ﴾ / إلى قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٢ - ٤] .

/ لوحة و١٢ /

١٦٦ـ والضَّلال والشَّقاء هو أَحَدَ الضَّالين والمغضوب عليهم المذكورين في قوله : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٧] وقد قال النبي ﷺ : « اليَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِم والنَّصَارَىٰ ضَالُّون »[٢] .

---

(١) رواه الحاكم (٢ / ٣٨١) ، وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي » . وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٠ / ٤٦٧ ، ٤٦٨) وعبد الرزاق في « المصنف » (٣ / ٣٨٢) . وأخرجه الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وغيرهم كما في « الدر المنثور » (٤ / ٣١١) . وراجع : « درء التعارض » (١ / ٥٤ ، ١٦٧) و« مجموع الفتاوى » (٣ / ٣١٤) و « منهاج السنة » (٢ / ٥٥٤) و « مفتاح دار السعادة » (١ / ٣٥) و « الصواعق المرسلة » (٣ / ٨٤٥) .

(٢) رواه أحمد (٤ / ٣٧٨) والترمذي (٢٩٥٤) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه . وقال الحافظ : « وَرَوَى أَحْمَد وَابْن حِبَّانَ مِنْ حَدِيث عَدِيّ بْن حَاتِم : « أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ : الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ الْيَهُود ، وَلَا الضَّالِّينَ النَّصَارَى » هَكَذَا أَوْرَدَهُ مُخْتَصَرًا ، وَهُوَ عِنْد التِّرْمِذِيّ فِي حَدِيث طَوِيل . وَأَخْرَجَهُ ابْن مَرْدَوْيهِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي ذَرّ ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَد مِنْ طَرِيق عَبْد اللَّه بْن شَقِيق أَنَّهُ أَخْبَرَهُ مَنْ سَمِعَ النَّبِيّ ﷺ نَحْوه » « الفتح » (٨ / ١٥٩) . وقد صححه الألباني في « الصحيحة » (٣٢٦٣)

الفرق بين الضلال والغي

١٦٧- فإنَّ اليهود عَرَفُوا الحق ولم يَعْمَلوا به ، والنصارىٰ عبدوا اللَّه بغير عِلْم .

- ومَن عرف الحق ولم يَعْمَل به كان مُتَّبِعًا لِهَوَاه ، واتِّباع الهوىٰ هو الغَيّ .

- ومن عمل بغير علم كان ضالًّا .

١٦٨- ولهذا نَزَّه اللَّه نَبِيّه عن الضَّلال والغي بقوله : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم : ١ - ٢] .

١٦٩- قال تعالى في صفة أهل الغَيّ : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

١٧٠- وقال : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

١٧١- وقال في الضَّلال : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١١٩] .

١٧٢- وقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص : ٥٠] .

اقتضاء العلم العمل

١٧٣ـ والعبد إذا عمل بما عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ علم ما لم يَعْلم[1] .

١٧٤ـ كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ٦٧ - ٦٨] .

١٧٥ـ وقال : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد : ١٧] .

١٧٦ـ وقال : ﴿ اتَّقُواْ اللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ [الحديد : ٢٨] .

١٧٧ـ وقال : ﴿ يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة : ١٦] . /

/ لوحة ظ١٢ /

١٧٨ـ فإذا ترك العمل بعلمه ، عَاقَبَهُ اللَّه ، بأن أَضَلَّهُ عن الهدىٰ الذي يعرفه .

١٧٩ـ كما قال : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف : ٥] .

١٨٠ـ وقال : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ١١٠] .

---

(١) قال الحافظ ابن رجب في « شرح حديث أبي الدرداء ـ بتحقيقنا » ص (٣٧) : « فمن التمس العلم ليهتدي به زَادَهُ اللَّه هُدًى وعلومًا نافعة تُوجِبُ له أعمالا صالحة ، وكل هذه طرق مُوصلة إلى الجنة » .

١٨١- وقال : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة : ١٠] .

١٨٢- وفي الحديث الذي رواه التِّرمذي وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إنَّ العَبْد إِذَا أَذْنَب نُكِتَ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاء ، فإذا تَابَ وَنَزَع واسْتَغْفَر صَقُلَ قَلْبُه ، فإن زَادَ يزيد فيها حتى يَعْلُو قلبه ، فذلك الرَّان الذي قال اللّه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] »(١) .

١٨٣- فهذه الأُمور يَتَبَيَّن بها أجناس ظُلْم العبد نفسه ، لكن كل إنسان بِحَسبه وبِحَسب دَرَجَته ؛ فما من صَبَاح يصبح إلَّا ولله على عبده حُقُوق ؛ لِنَفْسه وَلِخَلْقه عليه أن يفعلها ، وحُدُود عليه أنْ يحفظها ومَحَارم عليه أن يَجْتَنبها .

---

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٣٣٤) وقال : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » . وعنده « أخطأ خطيئة » بدل « أذنب ذنبا » وهو عند أحمد (٧٨٩٢) وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤) بلفظ : « إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا » .

قال العلامة المباركفوري رحمه الله : وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ « وقال : « أَصْلُ الرَّانِ وَالرَّيْنِ الْغِشَاوَةُ وَهُوَ كَالصَّدَإِ عَلَى الشَّيْءِ الصَّقِيلِ . قَالَ الطِّيبِيُّ : الرَّانُ وَالرَّيْنُ سَوَاءٌ كَالْعَابِ وَالْعَيْبِ ، وَالْآيَةُ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِارْتِكَابِ الذَّنْبِ يُشْبِهُهُمْ فِي اِسْوِدَادِ الْقَلْبِ وَيَزْدَادُ ذَلِكَ بِازْدِيَادِ الذَّنْبِ . قَالَ اِبْنُ الْمَلَكِ : هَذِهِ الْآيَةُ مَذْكُورَةٌ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ لَكِنْ ذَكَرَهَا ﷺ تَخْوِيفًا لِلْمُؤْمِنِينَ كَيْ يَحْتَرِزُوا عَنْ كَثْرَةِ الذَّنْبِ كَيْ لَا تَسْوَدَّ قُلُوبُهُمْ كَمَا اِسْوَدَّتْ قُلُوبُ الْكُفَّارِ وَلِذَا قِيلَ الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ » . « تحفة الأحوذي » (٩ / ٢٥٤ ، ٢٥٥)

١٨٤ـ كما قال ﷺ : « إِنَّ اللَّه فَرَضَ فَرَائِض فَلَا تُضَيِّعُوها ، وَحدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوها ، وَحَرَّم مَحَارم فَلَا تَنْتَهِكُوهَا »[1] .

أجناس الأعمال ثلاثة

١٨٥ـ فإن أجناس الأعمال ثلاثة :

ـ **مَأْمُور به** : فالواجب منه هو الفرائض .

ـ **ومَنْهي عنه** : وهو المَحَارم .

ـ **ومُبَاح** : له حدٌّ يَنْتهي إليه ؛ فَتَعَدِّيه تَعَدٌّ لِحدُودِ اللَّه .

١٨٦ـ بل قد يكون الزائد على بعض الواجبات والمستحبات تعدٌّ لحدود اللَّه ، وذلك هو الإسْراف .

١٨٧ـ كما قال المؤمنون قبلنا : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾ [آل عمران : ١٤٧] .

الفرق بين الذنوب والإسراف

١٨٨ـ و « الذُّنُوب » تتناول جِنْس الذُّنوب .

وأمَّا « الإسراف » فهو تعدي الحدود .

١٨٩ـ كما قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة : ٢] .

فـ ﴿ ٱلْإِثْمِ ﴾ : جِنْسُ المَنْهي عنه .

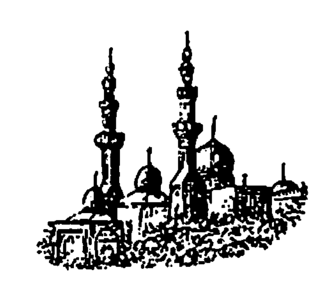
---

(١) رواه الدارقطني في سننه في آخر كتاب الرضاع (٤ / ١١٥) من حديث أبي ثعلبة الخشني ، وراجع طرقه والكلام عليه في تحقيقنا للأربعين النووية حديث رقم (٣٠) .

﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ : تَعَدّ الحَدّ في المأذون فيه .

و ﴿ ٱلْبِرِّ ﴾ : جِنْس المَأْمُور به .

﴿ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ : حفظ الحدود / بل يفعل المأمور به ويَتْرك المَنْهي عنه ، ويَفْعَل المُبَاح من غير تَعَدِّي الحُدُود في ذلك . / لوحة و١٣ /



فصل

إذا تبين هذا الأصل :

الرد على شبهة : أن الصِّدِّيق أَجَلّ قَدْرًا من أن يكون له ذُنُوب تكون ظلمًا كثيرًا

١٩٠ـ فقول السائل : **مَا مَفهوم قول الصِّدِّيق : « ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثيرًا » والدُّعاء بين يدي اللَّه لا يحتمل المَجَاز والصدِّيق رضي الله عنه من أئمة السابقين**[أ] **، والرسول أمره بذلك ؟** يتضمن شُبْهة في هذا الدعاء !!

١٩١ـ ومَثَار الشُّبهة أن يقال : الصِّدِّيق رضي الله عنه أَجَلّ قَدْرًا من أن يكون له ذُنُوب تكون ظلمًا كثيرًا فإنَّ ذلك ينافي مَرْتَبة الصِّديقية .

١٩٢ـ وهذه الشُّبْهة تَزُول بِوَجْهَيْن(*) :

١٩٣ـ **أَحَدُهما** : أنَّ الصديق رضي الله عنه ، بل والنَّبي والرَّسول إنما كَمُلَت مَرْتَبَتُه وَانْتَهت درجته ، وتم عُلو مَنزلته في نهايته لا في بدايته وإنما نَالَ ذلك بفعل ما أَمَرَ اللَّهُ به من الأعمال الصالحة .

١٩٤ـ وأفضل أعماله ، بل أفضلها التَّوبة ؛ فإنَّ التوبة تكون من الكُفر والفُسُوق والعصيان .

١٩٥ـ ومَا مِن صِدِّيق إلا ويمكن أن يَتُوب من الكفر والفسوق والعصيان ، كالصِّديقين من السابقين الأولين .

[أ] في مختصر الفتاوى المطبوع : « التابعين » !! والصواب مافي الأصل وهو الموافق لما في « نوادر الأصول » أيضًا .

(*) لم يذكر الوجه الثاني !

١٩٦- وما وُجد قبل التوبة ؛ فإنه لم ينقص صاحبه إذا تعقبته التوبة ولم يغض من منزلته ، ولا يُتصوَّر أنَّ بشرًا يستغني عن التوبة .

١٩٧- كما في الحديث المرفوع : « كُلُّ بَني آدم خَطّاء وَخَيْر الخَطَّائين التَّوَّابُون »[1] .

١٩٨- وفي « صحيح البخاري » عنه ﷺ أنه قال : « أَيُّهَا النَّاس تُوبُوا إِلى رَبِّكم ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّه وَأَتُوبُ إِليه في اليوم أَكْثَر من سَبْعِين مَرة »[2] .

١٩٩- وفي « صحيح مسلم » عنه ﷺ أنه قال : « إِنهَّ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي وَإِنِي لأَسْتَغْفِرُ اللَّه في اليوم مَائة مَرّة »[3] .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٤) .

(٢) البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » ، وأخرج النسائي أيضًا من طريق عطاء عن أبي هريرة : « أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ جَمَعَ النَّاس فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاس تُوبُوا إِلَى اللَّه ، فَإِنِّي أَتُوب إِلَيْهِ فِي الْيَوْم مِائَة مَرَّة » . وَلَهُ فِي حَدِيث الْأَغَرّ الْمُزَنِيّ رَفَعَه مِثْله وَهُوَ عِنْده وَعِنْد مُسْلِم بِلَفْظِ : « إِنَّهُ لَيُغَان عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِر اللَّه كُلّ يَوْم مِائَة مَرَّة » قَالَ عِيَاض : الْمُرَاد بِالْغَيْنِ فَتَرَات عَنْ الذِّكْر الَّذِي شَأْنه أَنْ يُدَاوِم عَلَيْهِ ، فَإِذَا فَتَرَ عَنْهُ لِأَمْرٍ مَا عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا فَاسْتَغْفَرَ عَنْهُ . وَقِيلَ : هُوَ شَيْء يَعْتَرِي الْقَلْب مِمَّا يَقَع مِنْ حَدِيث النَّفْس ، وَقِيل : هُوَ السَّكِينَة الَّتِي تَغْشَى قَلْبه وَالِاسْتِغْفَار لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّة لِلَّهِ وَالشُّكْر لِمَا أَوْلَاهُ ، وَقِيلَ : هِيَ حَالَة خَشْيَة وَإِعْظَام وَالِاسْتِغْفَار شُكْرهَا ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْمُحَاسِبِيّ : خَوْف الْمُتَقَرِّبِينَ خَوْف إِجْلَال وَإِعْظَام » « فتح الباري » (١١ / ١٠١) .

(٣) مسلم (٢٧٠٢) (٤١) من حديث الأَغَرّ الْمُزَنِيّ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ .

٢٠٠ـ فقد أَمَرَ النَّبي ﷺ أُمَّته بالتَّوبة عمومًا ، وأَخْبر أنه يستغفر اللَّه / ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة .

/ لوحة ظ١٣ /

٢٠١ـ بل قوله ـ الذي في الحديث المتفق عليه ـ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطِيئتي وَجَهْلي وَإِسْرَافي في أَمْري ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغفر لي هَزلي وَجَدِّي وَخَطَئي وَعَمْدي ، وَكُلُّ ذلك عندي اللَّهُمَّ اغْفِر لي مَا قَدَّمتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْت إلهي لَا إِله إِلَّا أَنْت »[1] .

٢٠٢ـ فهذا الدُّعاء فيه من الاعتراف أعظم مما في الدُّعاء الذي أمر به الصِّديق ، والصِّدِّيقون يجوز عليهم جميع الذُّنوب باتفاق الأئمة .

الصِّدِّيقون يجوز عليهم جميع الذُّنوب

ـ فقد يكون الرجل كافرًا ثم يَتُوب من الكفر ويصير صِدِّيقًا .

ـ وقد يكون فَاسقًا أَوْ عَاصيًا ثم يتوب من الفِسْق والمعصية ويَصِير صِدِّيقًا .

وإنما تَنَازع الناس في الأنبياء ؟[2] .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٦) في الصحيحين بدون الجملة الأخيرة : « أنت إلهي لا إله إلا أنت » وَوَقَعَ فِي حَدِيث عَلِيّ عِند مُسْلِم في صلاة المسافرين (٧٧١) أَنَّهُ كَانَ يَقُولهُ فِي آخِر الصَّلَاة فِي حَدِيث عَلِيّ بلفظ : « لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ » بَدَل قَوْله : « وَأَنْت عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير » وعند الترمذي في الدعوات (٣٤٢٣) بنفس اللفظ : « أنت إلهي لا إله إلا أنت » .

(٢) راجع الكلام على عصمة الأنبياء لشيخ الإسلام في : « رسالة في التوبة » (١ / ٢٦٢ ضمن جامع الرسائل) و« النبوات » (١ / ٦) و« مجموع الفتاوى » =

٢٠٣ـ وإن كان القول بِعِصْمة الأئمة قد يقوله بعض من يقوله من « الرافضة » ، حتى « الإسماعيلية » يقولون : إن بني عبيد الله ابن ميمون القَدّاح[1] كانوا معصومين ، لا يجوز عليهم الخطأ ولا الذنوب ؛ فهؤلاء زَنَادقة مُرْتدُّون ليسوا من أهل القبلة الذين يُنْصب معهم الخلاف .

= (١٥ / ١٤٧ ، ٢٠ / ٨٨ ، ٣٥ / ١٠٠) و « منهاج السنة » (٢ / ٣٩٣ ، ٤٥٣) ولشيخ الإسلام قاعدة وأجوبة في عصمة الأنبياء كما ذكر ابن عبد الهادي في « العقود الدرية » (١ / ٥٦) .

(١) « بنو عبيد القداح » هم من ادَّعو زُورًا نسبهم بفاطمة وسُمُّوا بالفاطميين .

* قال السيوطي : « ولم أورد أحدا من الخلفاء العبيديين لأن إمامتهم غير صحيحة لأُمور منها : أنهم غير قرشيين وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام وإلا فجدهم مجوسى قال القاضي عبد الجبار البصرى اسم جد الخلفاء المصريين سعيد كان أبوه يهوديا حدادا نشابة وقال القاضي أبو بكر الباقلاني القداح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدى كان مجوسيا ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوى ولم يعرفه أحد من علماء النسب وسماهم جهلة الناس الفاطميين . . وقال الذهبي : وكان العبيديون على ملة الإسلام شرا من التتر » اهـ ملخصا من « تاريخ الخلفاء » ص (٤ - ٨) .

* وقال العلامة أبو شامة رحمه الله : « بنو عبيد المستخلفين بها أظهروا للناس أنهم شرفاء فاطميون فملكوا البلاد وقهروا العباد .

وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء أنهم لم يكونوا لذلك أهلا ولا نسبهم صحيحًا بل المعروف أنهم بنو عبيد ؟ وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي .

وقيل كان والد عبيد هذا يهوديًا من أهل سلمية من بلاد الشام وكان حدادًا وعبيد هذا كان اسمه سعيدا فلما دخل المغرب تسمَّى بعبيد الله وزعم أنه علوي فاطمي ، وادعى نسبًا ليس بصحيح لم يذكره أحد من مُصَنِّفي الأنساب العلوية ، بل ذكر جماعة من العلماء بالنسب خلافه وهو ما قدمنا ذكره ثم تَرَقَّت به الحال إلى أن ملك وتَسَمَّى بالمهدي =

٢٠٤ـ و « الرَّافضة » الذين يعتقدون العِصْمة في الاثني عشر أَجْهَلُ الخلق وَأَضلهم ، ليس لهم عَقْل ولا نقل .

٢٠٥ـ ويُشْبِهُهم : من يعتقد في شيخه أَوْ مَتْبُوعه العصمة ؛ لكرامة رآها منه أو لِحُسْن ظَنٍّ به . فهؤلاء كلهم من الجُهَّال الذين ليس لقولهم أصل يبنى عليه .

= وبنى المهدية بالمغرب ونسبت إليه وكان زنديقا خبيثا عدوا للإسلام متظاهرا بالتشيع متسترا به حريصا على إزالة الملة الإسلامية قتل من الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة ، وكان قصده إعدامهم من الوجود ليبقى العالم كالبهائم فيتمكن من إفساد عقائدهم وضلالتهم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، ونشأت ذريته على ذلك منطوين يجهرون به إذا أمكنتهم الفرصة وإلا أسروه والدعاة لهم منبثون في البلاد يضلون من أمكنهم إضلاله من العباد .

وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها وذلك من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومئتين إلى سنة سبع وستين وخمس مئة . . .

وقد بين نسبهم هذا وأوضح محالهم وما كانوا عليه من التمويه وعداوة الإسلام جماعة ممن سلف من الأئمة والعلماء ، وكل متورع منهم لا يسميهم إلا بني عبيد الأدعياء أي يدعون من النسب ما ليس لهم . ورحمة الله على القاضي أبي بكر محمد بن الطيب فإنه كشف في أول كتابه المسمى بـ « كشف أسرار الباطنية » عن بطلان نسب هؤلاء إلى علي رضي الله عنه وأن القداح الذي انتسبوا إليه دعي من الأدعياء ممخرق كذاب وهو أصل دعاة القرامطة لعنهم . . .

ثم إني لم يقنعني هذا من بيان أحوالهم فأفردت كتابا لذلك سميته كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد ، فمن أراد الوقوف على تفاصيل أحوالهم فعليه به فإني بتوفيق الله تعالى جمعت فيه ما ذكره هؤلاء الأئمة المصنفون وغيرهم » .

« كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية » (٢ / ٢١٤) .

٢٠٦- ومع هذا فبتقدير أن يكون أحد هؤلاء معصومًا أو محفوظًا إنما ذَاك عندهم بعد أن يبلغ منزلة الولاية أو الصِّدِّيقية ، وأما قبل ذلك فليس بمعصوم باتفاق الناس .

الولي والصِّديق لا يجب أن يكون معصومًا

٢٠٧- وإن كان الصَّواب الذي عليه أئمة الدين ومشائخ الدين : أنَّ الوَلي والصِّديق لا يجب أن يكون معصومًا لا من الخطأ ولا من نحوه .

/ لوحة و١٤ /

٢٠٨- بل قد قال الصدِّيق الأكبر ـ خير هذه الأمة / بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه ـ لما ولي الناس : « أَيُّها النَّاس القوِي فِيكم الضَّعيف عِنْدي حَتَّى آخُذ مِنه الحق ، والضَّعيف فيكم القوي عِنْدي حتى آخذ له الحق ، أطيعوني فيما أَطَعْتُ اللَّه ، فإذا عَصَيْتُ اللَّه فَلَا طَاعَة لِي عليكم »[1] .

٢٠٩- وثبت في الصحيح[2] أنَّ النبي ﷺ قَصَّ رُؤيا رآها فقال أبو بكر : دَعْني يارسول اللَّه أُعَبِّرها ، فَلَمَّا عَبَّرها قال : أَصَبْتُ يَارَسُول اللَّه أَمْ أَخْطَأتُ ؟ فقال : « أَصَبْتَ بَعْضًا ، وَأَخْطَأتَ بعضًا » .

---

(١) راجع : « تاريخ الطبري » (٢ / ٢٣٧) و « البداية والنهاية » (٥ / ٢٤٨ ، ٦ / ٣٠١) و « الرياض النضرة » (٢ / ٢١٣) و « تاريخ الخلفاء » (١ / ٦٩) .

(٢) البخاري في التعبير (٧٠٤٦) ومسلم في الرؤيا (٢٢٦٩) (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

٢١٠ـ وقال الصدِّيق[أ] في « الكلالة » : « أَقُولُ فيها بِرأي فإن يكن صَوَابًا فمن اللَّه ، وإن يكن خَطَأً فَمِنِّي ومن الشَّيطان »[١] .

٢١١ـ وأفضل هذه الأُمة بعد أبي بكر : عمر .

٢١٢ـ وكان محدَّثًا مُلْهَمًا ، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « قد كَانَ في الأُمم قَبْلَكُم محدَّثُون ، فَإِن يَكُن في أُمَّتي أَحَدٌ فَعُمر »[٢] .

---

(١) أخرجه الدارمي في الفرائض (٣٠١٥) وعبد الرزاق (١٩١٩١) والطبري (٤ / ٢٨٠ ؟ ٢٢٤) وسعيد بن منصور (٣ / ١١٨٥) برقم (٥٩١) وابن أبي شيبة (١١ / ٤١٥) وفي إسناده انقطاع .

(٢) البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٩) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩٨) (٢٣) من حديث أبي هريرة ﷺ .

قَوْله : (مُحَدَّثُونَ) قال الحافظ : « بِفَتْحِ الدَّال جَمْع مُحَدَّث ، وَاخْتُلِفَ فِي تَأْوِيله فَقِيلَ : مُلْهَم ، قَالَهُ الْأَكْثَر قَالُوا : الْمُحَدَّث بِالْفَتْحِ هُوَ الرَّجُل الصَّادِق الظَّنّ ، وَهُوَ مَنْ أُلْقِيَ فِي رُوعه شَيْء مِنْ قِبَل الْمَلَأ الْأَعْلَى فَيَكُون كَالَّذِي حَدَّثَهُ غَيْره بِهِ ، وَبِهَذَا جَزَمَ أَبُو أَحْمَد الْعَسْكَرِيّ . وَقِيلَ مَنْ يَجْرِي الصَّوَاب عَلَى لِسَانه مِنْ غَيْر قَصْد ، وَقِيلَ مُكَلَّم أَيْ تُكَلِّمهُ الْمَلَائِكَة بِغَيْرِ نُبُوَّة » وَقَالَ الطِّيبِيُّ : الْمُرَاد بِالْمُحَدَّثِ الْمُلْهَم الْبَالِغ فِي ذَلِكَ مَبْلَغ النَّبِيّ ﷺ فِي الصِّدْق ، وَالْمَعْنَى لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلكُمْ مِنْ الْأُمَم أَنْبِيَاء مُلْهَمُونَ ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَد هَذَا شَأْنه فَهُوَ عُمَر . . وَالسَّبَب فِي تَخْصِيص عُمَر بِالذِّكْرِ لِكَثْرَةِ مَا وَقَعَ لَهُ فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ مِنْ الْمُوَافَقَات الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآن مُطَابِقًا لَهَا ، وَوَقَعَ لَهُ بَعْد النَّبِيّ ﷺ عِدَّة إِصَابَات » . « فتح الباري » (٦ / ٥١٦) .

٢١٣ـ وفي حديث آخر : « إنَّ اللَّه ضَرَبَ الحق عَلَى لِسَان عُمر وَقَلْبُه »[1] .

٢١٤ـ فعمر رضي الله عنه أَفْضَل المخاطبين المُحَدَّثين من هذه الأُمَّة ، والصِّديق أَفْضَل منه ؛ فإنَّ الصديق يَتَلَقَّى عن الرسول لا عن قلبه ، ولهذا سُمِّي صدِّيقًا .

٢١٥ـ وما جاء به الرَّسُول فهو مَعْصُوم أن يستقر فيه خطأ ، فما يأخذه الصِّديق فهو صِدْق كُلُّه وحَقٌّ كُلّه .

٢١٦ـ وأمَّا المُحَدَّث الذي يأخذ عن قلبه ؛ فَقَلْبُه قد يُصِيب وقد يُخْطِىء ، فيجب على كل مُحَدّث ومُكَاشَف أن يعرض ما وَقَع عليه على الكتاب والسُّنَّة ، فإن وافق ذلك وإلَّا ردَّه .

٢١٧ـ كما قال الشيخ أبو سليمان الداراني[2] : « إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِقَلْبِي

---

(١) رواه بهذا اللفظ : أحمد في « المسند » (٥ / ١٤٥) وفي « فضائل الصحابة » (٣١٧) وابن أبي عاصم في « السنة » (١٢٤٨) والطبراني في « الكبير » (١٠٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه . وله شوهد منها حديث ابن عمر بلفظ : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ » رواه أحمد (٢ / ٩٥) وأبو داود (٢٩٦١ ؟ ٢٩٦٢) والترمذي (٣٦٨٢) وقال : « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ » وابن ماجه (١٠٨) .

(٢) أورده شيخ الإسلام في « الاستقامة » (١ / ٩٥) وقال أيضا بعد أن كرّره (٢ / ٩٥) : « فإن الشيخ ابا سليمان من أجلاء المشايخ وساداتهم ومن اتبعهم للشريعة حتى انه كان يقول فذكره . وانظر : « الرسالة القشيرية » (١ / ٨٦) و « مدارج السالكين » (٣ / ١٠٢) .

النُّكْتة من نُكَت القَوْم ، فَلَا أَقْبَلها إِلَّا بِشَاهِدَيْن عَدْلَيْن اثْنين : الكِتَابُ والسُّنَّة » .

٢١٨ـ وقال : « لَيْسَ لِمَن أُلْهِمَ شيئًا مِن الخَيْر أن يَعْمَلَهُ حتى / يَسْمَع فِيهِ بِأَثَر ، فَإِذَا سَمِعَ بِالأَثَر كَانَ نُورًا عَلَى نُور »[١] .

/ لوحة ظ١٤ /

٢١٩ـ وقال الجنيد بن محمد[٢] : « عِلْمُنَا هَذَا مُقَيَّدٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَمَن لَم يَقْرَأ القُرآن وَيَكْتُب الحَدِيث لا يَصْلُح له أَنْ يَتَكَلَّم في علمنا » .

٢٢٠ـ وقال سهل بن عبد اللّه التستري[٣] : « كُلُّ وَجْدٍ لا يَشْهَد له الكتاب والسُّنة فَهُو بَاطِل » .

---

(١) أورده أيضا شيخ الإسلام في « الاستقامة » (٢ / ٩٥) .

(٢) الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد . قال الخطيب : « نشأ ببغداد ، وسمع بها الحديث ، ثم اشتغل بالعبادة ولازمها » . مات سنة ٢٩٨هـ .

ترجمته في : « تاريخ بغداد » (٧ / ٢٤١) ، و « سير أعلام النبلاء » (٢٠ / ٢٧٢) و « حلية الأولياء » (١٠ / ٢٥٥) و « شذرات الذهب » (٢ / ٢٢٨) .

والأثر عنه أورده أيضا شيخ الإسلام في « الاستقامة » (١ / ٩٧ ، ٢٤٩) و « درء تعارض العقل » (٥ / ٣٤٩) و « الرد على المنطقيين » (٥١٥) و« مجموع الفتاوى » (١١ / ٢١٠ ؟ ٥٨٥ ؟ ٥٩٥) . وراجع : « مدارج السالكين » (٣ / ١٤٢) .

(٣) سهل بن عبد الله التستري رحمه الله : أبو محمد الصوفي الزاهد مات سنة ٢٨٣ هـ .

ترجمته في : « سير أعلام النبلاء » (١٣ / ٣٣٠) و « حلية الأولياء » (١٠ / ٢٥٥) و « شذرات الذهب » (٢ / ٢٢٨) .

والأثر عنه : أورده شيخ الإسلام في « الاستقامة » (٢ / ٩٥) .

٢٢١ـ وقال أبو عمر بن نُجَيْد أو غيره : « مَن أَمَّرَ السُّنة عَلَىٰ نَفْسِه قَوْلاً وَفِعْلاً نَطَقَ بالحِكْمة ، وَمَن أَمَّر الهَوَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ قَوْلاً وفِعْلاً نَطَقَ بِالبِدْعَة ؛ لأنَّ اللَّه يقول : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾ [النور : ٥٤][١] .

وزن وعرض المكاشفات والمخاطبات على الكتاب والسنة والإجماع

٢٢٢ـ ومثل هذا كثير في كلام المشايخ ، فما يُلقى لأهل المُكَاشفات والمُخَاطَبات من المؤمنين هو من جِنْس ما يَكُون لِأَهل الرَّأي والقياس من العُلم منهم ، وكل ذلك فيه حَقٌّ وفيه باطل ، وليس أحد منهم مَعْصُومًا ، وكل منهم عليه أن يزن ذلك بالكتاب والسُّنَّة والإجماع ، فما خَالَف ذلك فهو باطل[٢] .

٢٢٣ـ ومنزلة الصِّدِّيق والفَارُوق دلَّت على أنَّ مَن يأَخذ من علم النبوة الثابت عن النبي ﷺ أَرْفَع منزلة ممن يأخذ من أَهْل

(١) أورده أيضا شيخ الإسلام في « الاستقامة » (٢ / ٩٧) .

(٢) فائدة : يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله نقلا عن أبي المظفر السمعاني رحمه الله : « وإنكار الإلهام مَرْدُود . . ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك : أن كل ما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول وإلا فمردود يقع من حديث النفس ووسوسة الشيطان . . ونحن لا ننكر أن الله تعالى يُكرم عبده بزيادة نور منه ، يَزْدَاد به نظره ويقوى به رأيه ، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف له أصل ، ولا نزعم أنه حجة شرعية وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة » « فتح الباري » (١٢ / ٣٨٨-٣٨٩) .

وراجع : « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٤٧٣ - ٤٧٧) .

القُلوب عن قلوبهم ؛ فإن غاية الواحد من هؤلاء أن يكون مُشَابِهًا لِعُمر ، ولا يكون مِثْله قَطّ(١) .

٢٢٤ـ ومَنْزِلة الصِّديق أفضل ، ولهذا كان الصِّديق يُعَلِّم عمر ومعاوية في غير قِصَّة .

٢٢٥ـ كما جَرَىٰ له معه يوم الحديبية لما قال عمر للنبيِّ ﷺ : يَارسول اللَّه أَلَسْنَا على الحق ؟ قال : « بلى » ، قال : أليس عَدُونا على الباطل ؟ قال : « بلى » ، قال : أَلَسْتَ رَسُول اللَّه حَقًّا ؟ قال : فلم نُعْطِىٰ الدَّنية في ديننا ؟! قال : « إنِّي رسول اللَّه وهو نَاصِري وَلَسْتُ أَعْصِيه » . قال : ألم تحدثنا أنا نأتي البيت ونَطُوف به ؟ قال : « بلى ، فقلت لك إنك تأتيه في هذا العام ؟ » قال : لا ، قال : « فَإِنك آت البيت ومطوف بِهِ » .

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : « وأفضل أولياء الله من هذه الأمة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأفضل من كان مُحدَّثًا من هذه الأمة عمر للحديث ، وللحديث الآخر : « إنَّ الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه » ومع هذا فالصديق أفضل منه لأن الصديق إنما يأخذ من مشكاة الرسالة لا من مكاشفته ومخاطبته ، وما جاء به الرسول معصوم لا يستقر فيه الخطأ ، وأما ما يقع لأهل القلوب من جنس المخاطبة والمشاهدة ففيه صوابٌ وخطأ ، وإنما يُفَرِّق بين صوابه وخطائه بنور النبوة كما كان عمر يزن ما يرد عليه بالرسالة فما وافق ذلك قبله وما خالفه رَدَّهُ . قال بعض الشيوخ ما معناه : « قد ضُمِنَت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ولم تُضْمَن لنا العصمة في الكشوف » « درء تعارض العقل والنقل » (٥ / ٣٤٩) .

ثم جاء عُمر إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر أَلَسْنَا على الحق ؟ قال : بلى ، قال : أليس عدونا / على الباطل ؟ قال : بلى قال : أَلَيْسَ هو رَسُول اللَّه حقًّا ؟ قال : بلى ، قال : فلم نُعطى الدَّنية في ديننا ؟ قال : إنَّه رسول اللَّه ، وهو ناصره وليس يَعْصِيه ، قال : ألم يكن يحدثنا أنا نأتي البيت ونَطُوف به ؟ قال : بلى ، أَقَالَ لَكَ إِنَّك تَأْتيه هذا العَام ؟ قال : لا قال : فَإِنك آت البَيت وَتَطُوف به(١) .

/ لوحة ٥١و /

٢٢٦ـ فأبو بكر أجاب بِمِثْل مَا أَجَاب به رَسُول اللَّه ﷺ من غير أن يَسْمع كلامه في تلك القِصَّة التي اضطربت فيها أكبر الصَّحابة حتى قال سهل بن حنيف ، وهو من كبار المؤمنين وشَهِدَ مع عليٍّ « صفِّين » : « أَيُّها النَّاس اتَّهموا الرأي عَلَى الدِّين ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل وَلَوْ أَسْتَطيع أنْ أَرُدَّ أمر رَسُول اللَّه ﷺ لَرَدَدْتُه » رواه البخاري(٢) .

---

(١) البخاري في الشروط (٢٧٣٤) ضمن الحديث الطويل عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم .
والبخاري في الجزية (٤٨٤٤) ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥) (٩٤) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه مختصرا .

(٢) البخاري في الاعتصام (٧٣٠٨) ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥) (٩٥) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه .

[أ] في الأصل : « أكبر » .

٢٢٧ـ فإذا كان الصِّديق والفاروق ، وهما خير الخلق بعد رسول اللّه ﷺ ، وهما اللّذانِ قال فيهما : « اقْتَدُوا بالَّذَيْن مِن بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمر »(١) هما مع الرَّسول كما تَرَىٰ ، فما الظنُّ بغيرهما ؟!

٢٢٨ـ وبهذا يُعلم : أنَّ كل مَن ادَّعى استغناءه عن الرِّسالة بمكاشفة أَوْ مُخَاطبة أَوْ عِصْمة ذَلك له أو لِشَيْخه ونحو ذلك ؛ فهو من أَضلّ الناس .

٢٢٩ـ ومن احتج على ذلك بِقصة « الخضر » مع « موسى » ففي غاية الجهل لوجوه :

نقض الاحتجاج بقصة « الخضر » مع « موسى »

٢٣٠ـ **أَحَدُها** : أنَّ موسى لم يكن مَبْعُوثًا إلى الخضر ، ولا كان يجب على الخضر اتِّباع موسىٰ .

بل قال له موسى : « إني على علم من علم اللّه عَلَّمَنيه اللّه لا تعلمه ، وأنت على علم من علم اللّه عَلمَكَه اللّه لا أعلمه » .

ولمَّا[أ] سَلَّم عليه قال : وأنَّىٰ بأرضك السَّلام ؟!

---

(١) رواه أحمد (٥ / ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢) والترمذي في المناقب (٣٦٦٢) وقال : « حديث حسن » وابن ماجه في المقدمة (٩٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه .
وفي الباب : عن ابن مسعود ، وأنس بن مالك ، وابن عمر ، وراجع : الصحيحة للألباني (١٢٣٣) .

[أ] في الأصل : « ولا » وتوجد علامة إلحاق ولا يوجد شيء في الهامش ، وما أثبته من المختصر .

قال : أنا موسىٰ .

قال : موسىٰ بني إسرائيل ؟

قال : نعم[١] .

فالخضر لم يعرف مُوسىٰ حتى عَرَّفه نفسه ؛ وأمَّا محمد ﷺ فهو رسول اللّٰه إلى جميع الخلق ؛ فمن لم يَتَّبِعْهُ / كان كافرًا ضالًّا من جميع من بلغته دعوته ، ومَن قال له كما قال الخضر لموسىٰ كان كافرًا .

/ لوحة ظ١٥ /

٢٣١ـ **الوجه الثَّاني** : أنَّ مَا فَعَلَهُ الخضر لم يكن خارجًا عن شريعة موسىٰ ؛ ولهذا لما بَيَّن له الأسباب التي أُبيح له بها خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار بغير جُعل أقرَّه على ذلك .

بل كانت الأسباب المُبيحة لذلك قد علمها الخضر دون موسى كما يدخل الرجل دار غيره فيأكل طَعَامه ويأخذ مَاله لعلمه بأنه مأذون له في ذلك ، وقبل الآخر لعدم علمه بالإذن قد يكون سببًا ظاهرًا وقد يكون بِسَبَبٍ بَاطِن .

وعلى التقديرين هما في الشريعة .

---

(١) القِصَّة بطولها في البخاري في العلم (١٢٢) ، ومسلم في الفضائل (٢٣٨٠) (١٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

٢٣٢ـ **الوجه الثالث** : أنَّ الخضر إن كان نبيًّا[1] فليس لغير الأنبياء أنْ يَتَشَبَّه به[أ] ، وإن لم يكن نبيا ـ وهو قول الجمهور ـ فأبو بكر وعمر أَفْضَل منه ؛ فإن هذه الأمة خير أُمَّة أُخْرِجت للنَّاس ، وخِيار هذه الأُمة القَرْن الأول من المهاجرين والأنصار ، وخَيْر القَرْن الأَوَّل السَّابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، وخَيْرُهم أبو بكر وعمر .

٢٣٣ـ فإذا كان أبو بكر وعمر أفضل من الخضر وحَالهما مع رسول اللَّه ﷺ هذه الحال ، ونحن مَأْمُورون أنْ نقتدي بهما لا بأنْ نقتدي بالخضر ؛ كان من تَرَكَ الاقتداء بهما في حالهما مع محمد ﷺ واقتدىٰ بالخضر في حاله مع موسىٰ من أضلِّ الناس وأجهلهم .

٢٣٤ـ بل مَن اعتقد أنه يجوز له أنْ يخرج عن طاعة النبي ﷺ

---

(١) راجع الكلام على من أثبت نُبوة الخضر في : « مجموع الفتاوى » (٢٧ / ١٠٠ ، ٤٢٢) و « البداية والنهاية » لابن كثير (١ / ٣٢٨) و « الزهر النضر في حال الخضر » لابن حجر (٦٨) و « أضواء البيان » للشنقيطي (٤ / ١٥٨) و« تفسير القرطبي » (١١ / ١٦) و « البحر المحيط » لأبي حيان (٦ / ١٤٧) و « شرح النووي لمسلم » (١٥ / ١٣٦) و « روح المعاني » للآلوسي (١٥ / ٣٢٠) و « الموافقات » للشاطبي (٢ / ١٩٦) و « تفسير أبي السعود » (٣ / ٢٥٩) و « التسهيل لعلوم التنزيل » لابن جزي (٢ / ١٩٤ ، ٦ / ١٥٦) .

[أ] في الأصل : « إليه » !! وما أثبته من المختصر .

وتَصْديقه في شيءٍ من أُمُوره الباطنة أو الظاهرة ؛ فإنه يجب أنْ يُسْتَتَاب فإن تَابَ وإلا قُتِل كائنًا من كان .

٢٣٥ـ وإذا عُرِفَ أنَّ التوبة ترفع مَنْزلة صاحبها ، وإن كان فيه قَبْل ذلك مَا كَانَ لم / يكُن لأحد أن ينظر إلى صِدِّيق ولا غيره باعتبار مَا وَقَع منه قبل التوبة والاستغفار ، ومَن فعل ذلك كان جَاهِلًا أو ظالمًا ، بل مهما أمكن أن يقع إلا إذا كانت التَّوبة قد وجدت منه فقد زَالَ أَمْرُه ، وارتفعت بالتَّوبة درجته ، فلا يستكبر بعد هذا أن يقع من صِدِّيق قدر ماذا عسىٰ أن يقع .

/ لوحة ١٦و /

٢٣٦ـ وإن كان صدِّيق هذه الأُمة كان من أَبْعَد النَّاس عن الذُّنوب قبل الإسلام وبعده ، حتى إنه لم يَشْرب الخمر في الجاهلية ولا الإسلام ، وكان معروفًا عندهم بالصِّدق والأمانة ومَكَارم الأخلاق ؛ لكن المقصود أن يحسم مادة مثل هذا السُّؤال لكن مع كونه من أأبْعَد النَّاس عن الذُّنوب .

فكل بني آدم يحتاج أن يَتُوب ويعترف بظلم نفسه كما اعترف بذلك من هو أفضل من أبي بكر .

٢٣٧ـ **وتمام ذلك بالوجه الثَّاني** : وهو أنَّ ظلم النَّفس أنواع مختلفة ودَرَجات متفاوتة كما تقدم التَّنبيه عليه ، وكل أحد ظلم نفسه على قَدْر دَرَجته ومنزلته .

٢٣٨ـ وما يمكننا أن نَحْصِر ما فَعَلَهُ كل شخص من أشخاص الصِّديقين ؛ فإن أحوال العباد مع اللَّه أَسْرار فيما بينهم وبين اللَّه ، وإنما يمكن أن يعرف أنواع ذلك كما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة ، ولا حاجة بنا إلى معرفة تفصيل ذلك ، فإنَّ هذا ليس مما يُقتدىٰ فيه بأحد ؛ فإن الاقتداء إنما يكون في الحَسَنات لا في السَّيِّئات يثاب فيها .

٢٣٩ـ والإنسان لا يقنط من رحمة اللَّه ، ولو عمل من الذُّنوب ما عسَىٰ أن يعمل ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] .

/ لوحة ظ١٦ /

الإجابة على سؤال : كيف يظلم الصديق نفسه ؟

٢٤٠ـ ونحن نعلم أنَّ التوكُّل / على اللَّه فرض ، والإخلاص له فرض ، ومحبة اللَّه ورسوله فرض ، والصبر على فعل ما أمر اللَّه به وعَمَّا نَهَىٰ اللَّه عنه وعلى المصائب التي تُصِيبه فرض ، وخشية اللَّه وحده دون خشية الناس فرض ، والرَّجاء للَّه وَحْده فرض ، وأمثال ذلك من الأعمال الباطنة والظاهرة والتي يحصل التَّقْصير في كثير منها لعامة الخلق .

٢٤١ـ وأيُّ نوع من هذه الأنواع إذا تَدَبَّر بعض الصِّديقين فيه حاله يجده قد ظلم نفسه فيه ظلمًا كثيرًا .

٢٤٢ـ دَعْ ما سوىٰ ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل اللَّه ، وكالقيام بحقوق الأهل والجيران والمؤمنين ، وإكمال كل واجب كما أمر به ، وأمثال ذلك مما لا يُحصىٰ .

٢٤٣ـ وقد ذكر البخاري عن ابن أبي مليكة قال : « أَدْرَكْتُ ثَلاثِين مِن أَصْحَاب مُحَمَّد كلهم يَخَافُ النِّفَاق عَلَى نَفْسِهِ »[١] .

٢٤٤ـ وفي الصحيح[٢] أنَّ حنظلة الكاتب لما قال : « نَافَقَ حَنْظَلَة »

---

(١) البخاري مُعَلَّقًا في كتاب الإيمان : باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر .
وقال الحافظ : « هَذا التَّعليق وصله ابن أبي خيثمة في « تاريخه » لكن أَبْهَم العَدَد . وكذا أخرجه محمد بن نصر الْمَرْوَزِيّ مُطَوَّلاً في كتاب الإيمان له ، وعينه أبو زرعة الدِّمشقي في « تَاريخه » من وجه آخر مُختَصَرًا كما هنا ، والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أَجَلّهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث والمسور بن مخرمة ، فهؤلاء مِمَّن سمع منهم ، وَقَد أدركَ بِالسِّنِّ جَمَاعَة أَجَلّ مِن هَؤُلَاءِ كَعَلِيِّ بن أَبِي طَالِب وَسَعد بن أَبِي وَقَّاص ، وَقَد جَزَمَ بِأَنَّهم كَانُوا يَخَافُونَ النِّفَاق فِي الأَعمَال ، وَلَم يُنقَل عَن غَيرهم خِلَاف ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ إِجمَاع وَذَلِكَ لِأَنَّ المُؤمِن قَد يَعرِض عَلَيْهِ فِي عَمَله مَا يَشُوبه مِمَّا يخالف الإخلاص . ولا يلزم من خوفهم مِن ذلك وُقُوعه مِنهم ، بل ذلك عَلَى سَبِيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضي اللَّه عنهم . وقال ابن بَطَّال : إِنَّما خَافُوا لِأَنَّهم طَالَت أَعمَارهم حتى رَأَوا مِن التَّغَيُّر مَا لم يَعهدوه ولم يَقْدِرُوا على إنكاره ، فخافوا أن يكونوا دَاهَنُوا بالسُّكوت . . وَقَدْ رُوِيَ فِي مَعْنَى أَثَر اِبْن أَبِي مُلَيْكَة حَدِيث عَنْ عَائِشَة مَرْفُوع رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَط لَكِنْ إِسْنَاده ضَعِيف » « فتح الباري » (١ / ١١٠ ، ١١١) .
(٢) مسلم في التوبة (٢٧٥٠) (١٢) عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ رضي الله عنه .

قال أبو بكر : « إِنَّا لَنَجِدُ ذلك » .

٢٤٥ـ فهؤلاء كانوا يخافون على أنفسهم النِّفاق ؛ لِكَمال علمهم وإيمانهم .

وجه استثناء السلف في الإيمان

٢٤٦ـ ولهذا كان عبد اللّه بن مسعود وغيره من السَّلف يستثنون الإيمان فيقول أحدهم : « أَنَا مُؤْمِنٌ إِن شَاءَ اللّه »[(١)] .

٢٤٧ـ وقد تقدم التنبيه على مَجَامع الظُّلم واللّه سبحانه أعلم .

٢٤٨ـ وأما ما ذكره « أبو عبد اللّه الحكيم الترمذي » من أصناف

---

(١) يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحي بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء البصرة وأحمد بن جنبل وغيره من أئمة أهل السنة فكانوا يستثنون في الإيمان وهذا متواتر عنهم » « مجموع الفتاوى » (٧ / ٤٣٨ ، ٤٣٩) .

وقال أيضًا : « ومُرَاد السلف من ذلك الإستثناء : إما لكونه لا يَقْطع بأنه فَعَل الواجب كما أمر الله ورسوله فيشك في قبول الله لذلك فاستثنى ذلك أو للشك في العاقبة أو يستثنى لأن الأمور جميعا إنما تكون بمشيئة الله كقوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ مع أن الله علم بأنهم يدخلون لا شك في ذلك أو لئلا يزكي أحدهم نفسه وكان أولئك يمتنعون عن القطع في مثل هذه الأمور ، ثم جاء بعدهم قوم جهال فكرهوا لفظ القطع في كل شيء ورووا في ذلك أحاديث مكذوبة وكل من روى عن النبي ﷺ أو عن أصحابه أو واحد من علماء المسلمين أنه كره لفظ القطع في الأُمور المجزوم بها فقد كذب عليه وصار الواحد من هؤلاء يظن أنه إذا أقر بهذه الكلمة فقد أقر بأمر عظيم في الدين ، وهذا جَهْلٌ وضلال من هؤلاء الجهال لم يَسْبقهم إلى هذا أحد من طوائف المسلمين » . « مجموع الفتاوى » (٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠)

الرحمة ، فلا ريب أنَّ الرحمة أصناف متنوعة ومتفاوتة كما ذكره من أنَّ له :

أصناف الرحمة في كلام الحكيم الترمذي

- رحمة عمَّت الخلق مؤمنهم وكافرهم .
- ورحمة خَصَّت المؤمنين .
- ثم رَحْمة خصَّت خواص المؤمنين ، على قَدْر دَرَجَاتِهِم .

٢٤٩- والحديث ليس فيه رحمة من عندك[أ] ، وإنما فيه « فَاغْفِر لي مَغْفِرة من عِنْدِكَ وَارْحَمْني » ولكن مَقْصُوده أن يشبه هذا بقوله ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ [آل عمران : ٨] .

/ لوحة ١٧و /

وهو قد جعل / هذه المغفرة المسئولة من عنده مغفرة مَخْصُوصة ليست مما يبذل للعامة كما أن الرحمة منها رحمة مخصوصة ليست مما يبذل للعامة . وهذا الكلام في بعضه نظر !!

كلام حسن في تقويم كلام الحكيم الترمذي ومصنفاته

٢٥٠- ف « الحكيم التِّرمذي » رحمه اللّه في الحديث والتصوف وتكلُّمه على أعمال القُلوب واستشهاده على ذلك لما يذكره في الآثار ، وَمَا يُبْديه على من المناسبات والاعتبار ؛ هو في هذا الطريق كغيره من المُصَنِّفين في صوب العلم كالتفسير والفقه ونحو ذلك ، وكثيرًا ما يوجد في هذه الكتب من الآثار الضَّعيفة بل المُضِلَّة ما لا يجوز الالتفات إليه .

[أ] في المختصر : « عندي » .

٢٥١ـ وكذلك « الحكيم التِّرمذي » ؛ فإن له كتب متعددة كـ « نوادر الأصول » و « الصلاة » وغيرها ، وفي كتبه فَوَائِد وَمَقاصِد مُسْتحسنة مَقْبُولة ، وفيها أيضًا : أقوال لا دليل عليها وأقوال مَرْدُودة يُعلم فَسَادها ، وآثار ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها .

نقض كلام الحكيم الترمذي في كتابه « ختم الأولياء »

٢٥٢ـ **ومن أضعف ما ذكره** : ما تَكَلَّم عليه في كتاب « ختم الولاية » ؛ فإنه تَكَلَّم على حال مَن زعم أنه خاتم الأولياء بكلام مَرْدُود ويُخَالف لإجماع الأمة ويناقض في ذلك .

وهذا كان سَبَب من تكلم في « ختم الأولياء »[١] وادعىٰ ذلك

(١) يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « لما تكلم الحكيم الترمذي فى كتاب « ختم الأولياء » بكلام ذكر انه يكون فى آخر الاولياء مَنْ هو أفضل من الصحابة ، وربما لَوَّح بشيء من ذكر الأنبياء قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك ، ولا ريب انه تكلم فى ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه ، ومن هناك ضلَّ من اتبعه فى ذلك حتى صار جماعات يدعي كل واحد انه خاتم الأولياء كابن عربى صاحب الفصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرهما ، وصار بعض الناس يدعي أن فى المتأخرين من يكون أفضل فى العلم بالله من أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار إلى أمثال هذه المقالات التى يَطُول وَصْفَها مما هو باطل بالكتاب والسنة والإجماع بل طوائف كثيرون آل الأمر بهم الى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية وظنوا أن من شهدها سقط عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] وهؤلاء شرٌّ من القدرية المعتزلة الذين يُقِرُّون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويُكَذِّبون بالقدر فإن أولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالأنبياء والشرائع فهم من شَرِّ الناس » .

« مجموع الفتاوى » (١٣ / ٢٦٧ ، ٢٦٨) .

لنفسه كـ « ابن العربي » و « ابن حمويه » ونحوهما .

٢٥٣ـ فإن التِّرمذي أخطأ مقدار من الخطأ ؛ فزادوا على ذلك زيادات كثيرة حتى خَرَجَ بهم الأمر إلى الاتحاد ، وقَلَّ مُتَكَلِّم في الوجود يوزن كلامه بالكتاب والسُّنة .

وكلامه على الحديث[*] من أَوْسَط كلامه ، وفيه نظر :

تقويم كلام الحكيم الترمذي على حديث أبي بكر الصديق

٢٥٤ـ **أحدهما** : فإن قوله « مَغْفِرة من عندك » ، وقوله ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ [آل عمران : ٨] ، ونحو ذلك ؛ ليس في ذلك ما يقتضي اختصاص هذا الشخص الداعي بهذا المطلوب المسؤول ، ولو كان كذلك لما كان يَسُوغ لغيره أن يدعو بهذا الدُّعاء ، وهذا خلاف الإجماع / .

/ لوحة ظ١٧ /

٢٥٥ـ **وإن قيل** : مراده أنَّ هذا المطلوب يختص من دعىٰ هذا الدعاء .

قيل له : كذلك يمكن أن يقال في كل مطلوب يدعىٰ ، فإن ذلك المطلوب هو مختصٌّ بذلك الدعاء .

٢٥٦ـ **وإن قال** : بل غير هذا من المَطْلُوبات قد يُنَال بلا دعاء .

قيل له : وهذا أيضًا قد ينال بلا دعاء ، فمن أين لنا أنَّ هذه المغفرة والرحمة المطلوبة لاتنال إلا بهذا الدعاء ، وإن سائر ما يطلب من الله قد يُنال بغير الطَّلب ؟

(*) أي حديث أبي بكر الذي هو بصدد شرحه .

٢٥٧ـ ومن المعلوم أنَّ الدُّعاء والطلب سَبَبٌ لِنَيْل المطلوب المَسْؤول ، فإن جَازَ أن يكون للمسؤول سَبَبٌ غير الدُّعاء في غير هذا الموضع فكذلك في هذا الموضع .

٢٥٨ـ **وأيضًا** : فقوله : « **من عندك** » ليس فيه ما يدلُّ على اختصاصه بالطلب ولا بالمطلوب .

التفسير بالإشارات وما فيه من الطامات

٢٥٩ـ وتفسير اللفظ بما لا دليل عليه هو من جنس تفسير « القرامطة » الذين يُفَسِّرون الألفاظ لما أرادوا ، وأكثر أهل الإشارات الذين يَقَعُون في أشياء مثل قطعه كثيرة من الحكايات المذكورة في « حقائق التفسير » لأبي عبد الرحمن السّلمي[1] .

---

(١) يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ : « وقد دخل كثير من هذه القَرْمَطة في كلام كثير من المتصوفة كما دخل في كلام المتكلمة ، وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب « حقائق التفسير » قطعة من هذا الجنس عن جعفر الصَّادق رضي الله عنه وأهل العلم بجعفر وأحوال يعلمون قطعا أن ذلك مكذوب على جعفر كما كذب عليه الناقلون عنه الجدول في الهلال وكتاب الجفر والبطاقة والهفت واختلاج الأعضاء والرُّعُود والبُرُوق ونحو ذلك مما هو من كلام أهل النجوم والفلسفة ينقلونه عن جعفر وأهل العلم بحاله يعلمون أن هذا كله كذبٌ عليه » . « بغية المرتاد » (١ / ٣٢٨ ، ٣٢٩) .

* ويقول أيضًا رَحِمَهُ اللهُ : « وإذا كان تفسير الثعلبي وصاحبه الواحدي ونحوهما فيها من الغريب الموضوع في الفضائل والتفسير ما لم يجز معه الاعتماد على مجرّد عزوه إليها فكيف بغيره كتفسير أبي القاسم القشيري و أبي الليث السمرقندي و حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السُّلمي الذي ذكر فيه عن جعفر و نحوه ما يعلم أنه من أعظم الكذب مع أن هؤلاء المُصَنِّفين أهل صلاح ودين وفضل وزهد وعبادة ، ولكنهم كما قال =

٢٦٠ـ والإشارات التي يعتمدها المشايخ العارفون هي من جِنْس القياس والاعتبار ، وهي كشبه غير المنطق بالمنطق ؛ لكونه في معناه إذا ولي بالحكم منه ، كما يفعل مثل ذلك في القياس الفقهي .

= مالك : أدركت في هذا المسجد سبعين شيخًا كل له فضل و صلاح و دين ولو ائتمن أحدهم على بيت مال لأدى فيه الأمانة ، يقول أحدهم : حدثني أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ ما نأخذ عن أحد منهم شيئا و كان ابن شهاب يأتينا وهو شاب فنزدحم على بابه ؛ لأنه كان يعرف هذا الشأن . وقال أيوب السختياني : « إن من جيراني لمن أرجو بركة دعائه في السحر ولو شهد عندي على حزمة بقل لم أقبله » . وسئل عن بعضهم ؟ فقال : رجل صالح و للحديث رجال يعرفون به و للدواوين حساب » .
« الرد على البكري » (١ / ٥٩) .

* ويقول أيضًا رحمه الله : « فإن الشيخ أبا عبدالرحمن ذَكَر فى « حقائق التفسير » من الإشارات التى بعضها كلامٌ حسنٌ مستفادٌ وبعضها مكذوبٌ على قائله مفترى كالمنقول عن جعفر وغيره وبعضها من المنقول الباطل المردود ، فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى إشارة حالية وهى إشارتهم بالقلوب وذلك هو الذى امتازوا به ، وليس هذا موضعه وتنقسم إلى الإشارات المتعقلة بالاقوال مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه ، فتلك الإشارات هى من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمَنْصُوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذى يستعمله الفقهاء فى الاحكام لكن هذا يستعمل فى الترغيب والترهيب وفضائل الاعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك فان كانت الاشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حَسَنة مقبولة وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه وإن كان تحريفا للكلام عن مواضعه وتأويلا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية فتدبّر هذا فإني قد أوضحت هذا فى قاعدة الإشارات » « مجموع الفتاوى » (٦ / ٣٧٦ ، ٣٧٧) .
وراجع أيضًا : « مجموع الفتاوى » (١١ / ٤٢ ، ٤٣) .

٢٦١ـ كما إذا قيل في قوله : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٩] .

إذا كان المصحف الذي كتب فيه ظاهره لا يمسه إلا البدن الطاهر ؛ فالمعاني التي هي باطن القرآن لا يمسها إلا القلوب المُطَهَّرة ، وأما القلوب المُنَجّسه لا تمس حقائقه فهذا معنى صحيح .

٢٦٢ـ قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] . قال بعض السلف : « أَمْنَعُ قُلوبهم فَهم القُرآن »[١] .

٢٦٣ـ وقال النبي ﷺ : « إِذَا أَذنَب العَبْدُ / نُكِتَ في قَلْبِهِ نُكْتَة سَوْدَاء ، فَإِن تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقُلَ قَلْبُه ، فَإِن زَادَ زِيد فِيها حَتى تَعْلُو قَلْبَهُ ، فذلك الرّان الّذي قَالَ اللّه تعالىٰ فيه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] »[٢] .

/ لوحة و١٨ /

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩٨٣) وابن جرير في التفسير (٩ / ٦٠) من قول ابن عيينة
* يقول ابن جرير الطبري رحمه الله (٩ / ٦٠) : « وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدًا لأهل الكفر بالله ممن بعث إليه نبينا ﷺ دون قوم موسى ؛ لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد ﷺ دون موسى عليه السلام » .
* وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « قال ابن جرير وهذا خطاب لهذه الأمة قلت ليس هذا بلازم ؛ لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مُطرد في حق كل أمة ، ولافرق بين أحد وأحد في هذا والله أعلم » « تفسير ابن كثير » (٢ / ٢٤٨) .
(٢) رواه أحمد (٢ / ٢٩٧) والترمذي في « تفسير القرآن » (٣٣٣٤) وقَالَ : =

٢٦٤ـ فالذنوب ترين على القلوب حتى تَمنعها فَهْم القرآن . وإذا كان هذا المعنىٰ صحيحًا ؛ فقياس طهارة القلب على طهارة البَدَن ـ فيما يشترط لَهُ الطَّهارة من مس القرآن ـ إشارة حَسَنة .

٢٦٥ـ فأما أنَّ نفس المراد باللَّفظ بغير المراد وبما لا يدلُّ عليه اللفظ فهذا خطأ . وقد قال زكريا : ﴿ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

ولم تكن الذرية الطيبة مختصة به ولا بالأنبياء ، بل اللَّه يُخرج الأنبياء من أَصْلاب الكفار إذا شاء .

ما يعطيه الله للعبد على وجهين :

٢٦٦ـ ولكن تَمْشِيَتُه واللَّه أعلم أنه إذا قال : « من عندك » و « من لَدُنك » كان مطلوبًا فعل العبد ؛ فإن ما يعطيه اللَّه للعبد على **وجهين** :

ـ منه ما يكون بِسَبب فِعْله : كالرزق الذي يُرْزَقُهُ بكسبه والسيئات التي تُغْفَر له بالحسنات المَاحِية لها ، والولد الذي يُرْزَقُهُ بالنِّكاح المعتاد ، والعلم الذي يَنَالُه بالتَّعَلُّم المعهود والرحمة التي يُصيبها بالأَسْباب التي يفعلها .

= « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » ، وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه . وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣١٤١) .

ـ ومنه ما يعطيه للعبد ولا يحوجه إلى السَّبب الذي يَنَال به في غالب الأمر .

كما أعطى زكريا الولد مع أنَّ امرأته كانت عَاقِرًا وكان قد بلغ من الكبر عِتِيًّا ، فهذا الولد وَهَبَهُ اللَّه من لدنه ، لم يهبه بالأسباب المعتادة ، فإن العادة لا تحصل بهذا الولد .

وكذلك : العلم الذي علمه الخضر من لدنه لم يكن بالتعلُّم المعهود .

وكذلك : الرحمة الموهوبة ؛ ولهذا قال :﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .

٢٦٧ـ وقوله « **مَغْفِرةٌ من عِنْدك** » لم يَقُل فيه / من لَدُنك مَغْفِرةٌ بل « مِن عِنْدك » ، ومن الناس من يفرق بين « لدنك » و « عندك » . / لوحة ظ١٨ /

٢٦٨ـ وهكذا قد يُفَرِّق بين التقديم والتأخير ، فإن لم يكن بينهما فرق فقد يكون المراد : اغفر لي مغفرة من عندك لا تَصلها بأسباب ، لا من عزائم المغفرة التي يُغْفَرُ لصاحبها كالحج والجهاد ونحوهما مَا يُوجب المغفرة لصاحبه ، بل اغفر لي مغفرة تَهبها لي وتُجود بها عليَّ بلا عَمَل يَقْتَضي تلك المغفرة .

٢٦٩ـ ومن المعلوم : أنَّ اللَّه تعالىٰ قد يَغْفر الذُّنوب بالتوبة ، وقد يغفرها بالحسنات الماحية ، وقد يغفرها بالمصائب المكفرة وقد يغفرها بمجرد استغفار العبد وسُؤَاله أن يُغْفَر له[1] ؛ فهذه مغفرة من عنده .

توجيه كلام الحكيم الترمذي وحمله على محمل حسن

٢٧٠ـ فهذا الوجه إذا أقر به قوله « **من عندك** » كان أَحْسَنَ وَأَشْبه مما ذكر من الاختصاص . وأما **قوله** : « **والأشياء كلها من عنده** » فيقال للأشياء وجهين :

منها : ما جعل سببًا من العبد يُوفيه عليه .

ومنها : ما يفعله بدون ذلك السَّبب بل إجابة لسؤاله وإحسانًا إليه .

٢٧١ـ واستعمال لفظ « **من عندك** » في هذا المعنى هو المناسب دُون تخصيص بعض النَّاس دون بعض ؛ فإن قوله « **من عندك** » دلالته على الأول أبين ، ولهذا يقول الرجل لما يطلبه « أَعْطِني من عِنْدك » لما يطلبه منه بغير سَبَب ، بخلاف ما يطلبه من الحقوق التي عليه كالدين والنفقة فإنه لا يقال فيه « **من عندك** » .

---

(١) ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في غُفران الذنوب أشياء كثيرة تُراجع في : « مجموع الفتاوى » (٧ / ٤٨٩) (٤ / ٤٣٢) (٢٠ / ٢٥٤) و « منهاج السنة » (٥ / ٨٣) .
وراجع أيضا : « مدارج السالكين » (١ / ١٤٢) و « طريق الهجرتين » (١ / ٥٦١) والصواعق المرسلة (٢ / ٦٩١) .

٢٧٢ـ واللَّه تعالى وإن كان الخلق لا يُوجبون عليه شيئًا ؛ فهو قد كَتَبَ على نفسه الرَّحمة ، وحرَّم الظُّلم على نفسه ، وأَوْجَب بِوَعْده ما يجب لمن وعده إياه ، فهذا قد يَصِير واجبًا بحكم إيجابه وَوَعْدِه ، بخلاف ما لم يكن كذلك .

٢٧٣ـ فاستعمال لفظ / : « **من عندك** » في هذا هو شبيه باستعماله فيما يطلب من النَّاس من الإحسان ذو المعاوضات .

/ لوحة و١٩ /

فائدة بديعة في تفسير قوله « من عندك » في الحـــديث

٢٧٤ـ **وأَيضًا** : فقوله « **من عِنْدك** » يُرَادُ به أن تكون مغفرة تُجُود بها أنت عليَّ ، لا تحوجني فيها إلى خَلْقك ، ولا تحتاج إلى أحد يَشْفع فيَّ أَو يَسْتغفر لي .

٢٧٥ـ واستعمال لفظة « **مِن عِنْدِكَ** » في مثل هذا معروف ، كما في حديث توبة كعب بن مالك ، لما جاء إلى النبي ﷺ فقال له :
« أَبْشِر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أُمك » .
فقلت : يارسول اللَّه أَمِن عِنْد اللَّه أو من عِنْدك ؟
فقال : « بل من عِنْد اللَّه »[1] .
فأخبره ﷺ أنَّ اللَّه تَابَ عليه من عنده .

---

(١) البخاري في المغازي (٤٤١٨) ومسلم في التوبة (٢٧٦٩) (٥٣) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه .

٢٧٦ـ وكلا الوَجْهين قول مريم عليها السلام : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

فلما كان الرِّزق لم يأت به بَشَر يسع فيه السَّعي المُعْتاد قالت : ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٧] . فهذه المعاني وَما يُنَاسبها هي التي يشهد لها استعمال هذا اللفظ .

٢٧٧ـ وإن قال قائل : كذلك كلام « الحكيم الترمذي » على مثل هذا وأنه أَرَاد بالتخصيص ما يناسب هذا ؛ كان قولاً محتملاً .

وقد قال عمر : « احْمِل كَلام أَخِيك عَلَى أَحْسنه حتى يَأْتِيك مَا يَغْلِبُك مِنه »(١) . وَاللَّه أَعْلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

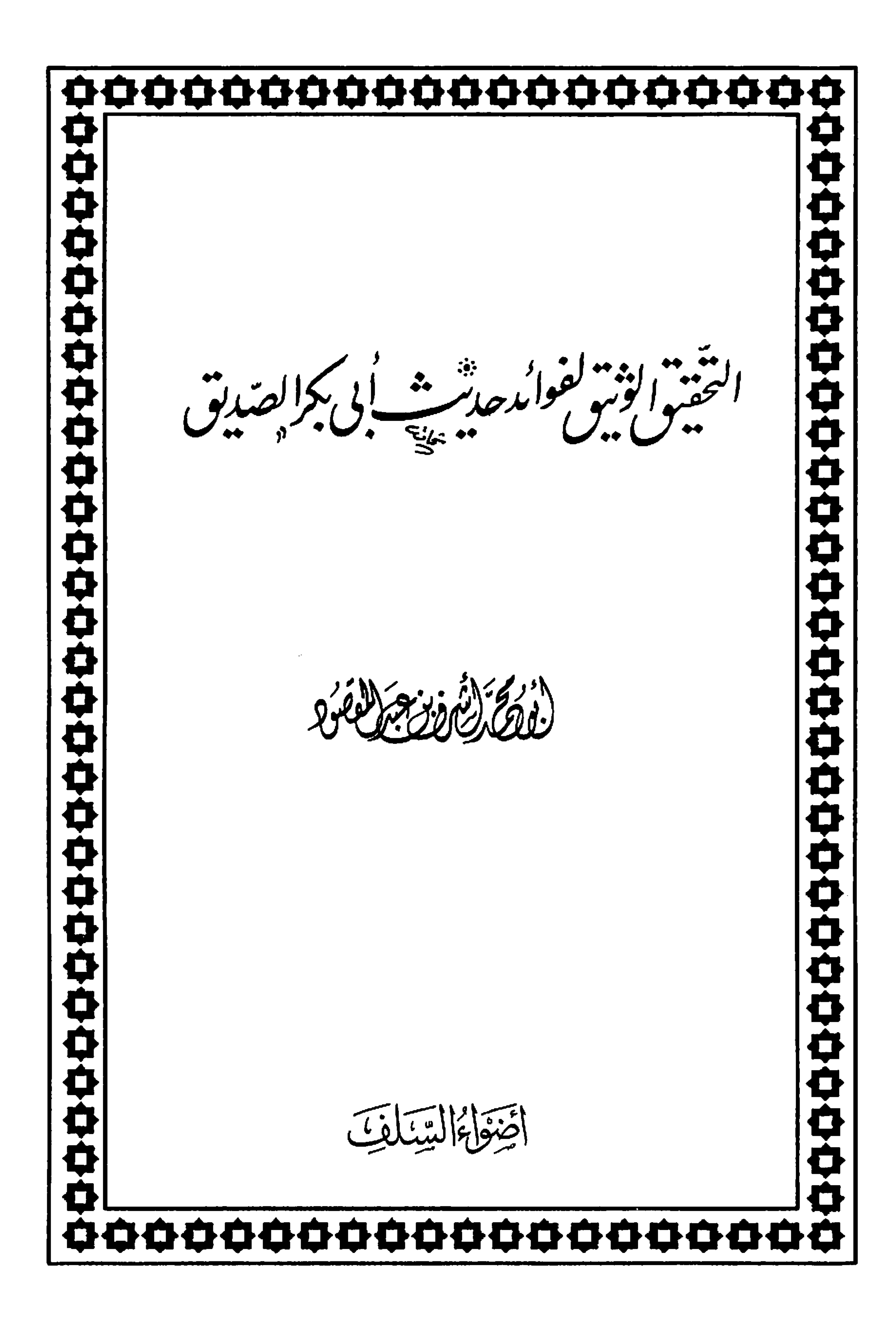
---

(١) رواه ابن قدامة في « المتحابين في الله » ص (٩٩) برقم ١٥١ عن بديل بن ورقاء قال قال عمر : « ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يبدو لك منه ما يغلب » . ورواه السلمي في « أداب الصحبة » ص (٥٨) قال عمر بن الخطاب : « ثلاث يصفين لك ود أخيك : أن تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه ومن آدابها أن تضع كلام أخيك وأبرزه على أحسن الوجوه ما وجدت لها وجها حسنا » .

ورواه السلمي في « أداب الصحبة » ص (٥٨) . والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦ / ٣٢٣) عن سعيد بن المسيب بنحوه .

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

الإسماعيلية ١١ محرم ١٤٢٢هـ


التحقيق الوثيق لفوائد حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه
أبو محمد أشرف بن عبد المقصود
أضواء السلف



مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله .

أما بعد : فهذه بعض الفوائد التي جمعتها من كلام العلماء على حديث أبي بكر الصديق ؛ لتكون تتميمًا لشرح شيخ الإسلام وسميتها :

التحقيق الوثيق لفوائد حديث أبي بكر الصديق

وقد جعلتها في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ترجمة أبي بكر الصديق

الفصل الثاني : تخريج الحديث

الفصل الثالث : من زوائد الفوائد وشوارد الفرائد

والله تعالى أسأل أن يَنْفَعَ بها من قَرَأَهَا وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم إنه سبحانه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الإسماعيلية : في ١ ربيع الأول ١٤٢٢هـ

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

الفصل الأول

ترجمة أبي بكر الصديق



۞ من عقيدتنا عقيدة أهل السنة والجماعة : الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند الله عز وجل بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ : أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان وهو عتيق ابن أبي قحافة رضي الله عنه »[١] .

۞ قال الحافظ الذهبي رحمه الله : « أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أفضل الأمة ، وخليفة رسول الله ﷺ ، ومؤنسه في الغار ، وصديقه الأكبر ، وصديقه الأشفق ، ووزيره الأحزم .. رأس الصادقين في الأمة وإليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول »[٢] .

۞ وقال أبو الفتوح الطائي رحمه الله : « أفضلُ الصحابةِ ، وأولاها بالخلافةِ وأحقها بالتقدمةِ مختارُ الجبّارِ ، وَمَعْدَنُ الوقارِ ، وَصَاحبُ المصطفى ﷺ في الغارِ سيدُ المهاجرينَ والأنصارِ : الصِّديقُ أبو بكرٍ ، عبد اللّه . وقيلَ :

---

(١) « الشرح والإبانة على أصول الديانة » لابن بطة ص (١٥٧ ، ١٥٨) .
وقال بعد العبارة السابقة (١٥٨) : « وتعلم أنه يوم مات رسول الله ﷺ لم يكن أحد بالوَصْف الذي قدَّمنا ذكره غيره رحمهُ الله » .
ونقل الإجماع على ذلك أبو طالب العشاري في فضائل أبي بكر ص (٨) والإمام الشافعي والنووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر والبيهقي . وراجع « عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام » (١ / ٢٣٩) .
ويُنْظر أيضًا : « لمعة الاعتقاد » لابن قدامة ، و « الباعث الحثيث » لابن كثير (١٨٣) و « لوامع الأنوار » للسفاريني (٢ / ٣١٢)

(٢) « تذكرة الحفاظ » (١ / ٥) ترجمة (١) .

عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عَمْرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي ، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في مرة بن كعب ..

* وأمُّه سلمى : وهي أم الخير بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة ابنة عم أبيه ..

* وُلِدَ رَضِي اللَّهُ عنه بعدَ عامِ الفيلِ بسنتينِ وأربعةِ أشهرٍ إلَّا أيامًا .

* وهو أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ ، سَبَقَ إِلَى قَبُولِ الحَقِّ من غيرِ تلعثُمٍ وشِمَاسٍ ، فبذلَ نفسهُ ، وأنفقَ مالهُ ، وتركَ عِزَّهُ ورياستَهُ ، وكانَ قبلَ الإسلامِ ذَا جاهٍ عريضٍ ، ومالٍ كثيرٍ ، مُقَدَّمٌ في علمِ الأنسابِ ، بَصِيرًا بعلمِ الرؤيا ، مقبولَ القولِ ، فآثرَ الدِّينَ علىٰ هذهِ المآثرِ ، وتَخلّى عَمَّا سواهُ مِن المفاخرِ ، وأسلمَ أَبَوَاهُ بَعْدَهُ[(١)] .

۞ أسلم على يديه من العشرة المشهود لهم بالجنة خمسة : عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص »[(٢)] .

۞ صَحِبَ النبي ﷺ قبل البعثة ، وسبق إلى الإيمان واستمر معه طول

---

(١) « كتاب الأربعين في إرشاد السائرين » ص (٣٦ ، ٣٧) .

(٢) « كشف المشكل من حديث الصحيحين » لابن الجوزي (١/ ١١) وجامع الأصول » (١٢ / ٣٠٣) .

إقامته بمكة ، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات وكانت الراية معه يوم تبوك ، وحج بالناس ورسول الله ﷺ حي[(١)] .

۞ سُمّيَ عَتيقًا ؛ لأن النبيَّ ﷺ قال له : « أَنْتَ عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ »[(٢)] . ولقب بالصديق لسبقه لتصديق النبي وكان علي عليه السلام يحلف : « أن الله تعالى أَنْزَل اسم أبي بكر من السماء الصديق »[(٣)] .

۞ أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب المذكور في قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة : ٤٠] هو أبو بكر رضي الله عنه[(٤)] .

۞ ومن فضائله رضي الله عنه : أن الله جعله في مقابلة الصحابة أجمع فقال : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ بصاحبه في الغار ، بتأنيسه

---

(١) « تهذيب الأسماء واللغات » (٢ / ١٨٤) و « جامع الأصول » (١٢ / ٣٠٢) .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٧٩) من حديث عائشة رضي الله عنها وصححه الألباني لشواهده الكثيرة ؛ وراجع : « الصحيحة » (١٥٧٤) ومجمع الزوائد (٩ / ٤٠ ، ٤١) .
وقيل في تسميته بذلك أقوال أُخَر ؛ راجع : « المعارف » لابن قتيبة (٦٧) و « غريب الحديث » للخطابي (٢ / ٣٤) و « كشف المشكل » لابن الجوزي (١ / ١١) .

(٣) رواه الطبراني ورجاله ثقات كما قال الحافظ في « الفتح (٧ / ٢) .
فائدة : قال الصفوري رحمه الله في « المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء » (٤٠) : وقال قوم من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم : الصديق اسم لمن عادته الصدق » وراجع : « تفسير الفخر الرازي » (١٠ / ١٧٢) .

(٤) « الإصابة » لابن حجر (٢ / ٣٣٥) و « تاريخ الخلفاء » للسيوطي (٤٨) .

له ، وحَمْله على عنقه ووفائه له بوقايته له بنفسه ، وبمواساته بماله[(١)] .

* قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ : عَاتَبَ الله المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا أبابكر وحده فإنه خرج من المُعَاتَبة ثم قرأ : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[(٢)] [التوبة : ٤٠] .

* قال العلامة أبو بكر بن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ : « وهذه مرتبة عظيمة وفضيلة شَمَّاء لم يكن لبشرٍ أن يخبر عن الله سبحانه أنه ثالث اثنين أحدهما أبو بكر كما أنه قال مُخْبِرًا عن النبي ﷺ وأبي بكر : ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾ »[(٣)] .

* قال العلامة أبو بكر بن زنجويه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ : « لم يكن أحدٌ بعد رسول الله ﷺ أجود إيمانًا ، ولا أشجع قلبًا ، ولا أحزم رأيًا ، ولا أعلم بالله وبرسوله وبأمر الدين والدنيا ، وبسياسة أُمُور الأمة من أبي بكر الصديق ، وكان مُؤَيَّدًا مُوفقًا عَارِفًا بأحوال الناس كثير التجربة ، صادق الظن ، عالمًا بما يَحْسِم الفِتَن ويجمع الأمة »[(٤)] .

---

(١) « أحكام القرآن » (٢ / ٩٥٢) .
(٢) رواه ابن عساكر كما في « الدر المنثور » للسيوطي (٤ / ١٩٩) .
(٣) « أحكام القرآن » (٢ / ٣٥١) .
(٤) « الروض الأنيق في إثبات إمامة أبي بكر الصديق » مخطوط لوحة (٩ ظ) .

* قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : « وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل : ١٧ – ٢١] . ذكروا أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك »[١] .

۞ ومما قاله النبي ﷺ في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : « إنَّ من أَمَنِّ النَّاسِ عليَّ في صُحْبته وماله أبا بكرٍ ، ولَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِن أُخوة الإسلام ومَوَدَّته »[٢] .

۞ أَمَرَهُ ﷺ النبي بأن يُصَلِّي بِالنَّاسِ أَيَّامَ مَرَضِهِ ، وبذلكَ حاجَّ عُمرُ رضي اللَّه عنه الأَنْصَارَ يَوْمَ السَّقِيفَةَ ، فَقَالَ : « رَضِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لدينِنا فلا نَرْضَاهُ لِدُنْيَانَا ، وأَيُّكُم تَطِيبُ نَفْسه أَن يزيله عن مقام أَقامه فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ » . فانقادوا له وَبَايَعُوه[٣] .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٧ / ٣١٠) .

(٢) البخاري (٣٩٠٤) ومسلم (٢٣٨٢) (٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
* قوله « إنَّ من أَمَنِّ النَّاسِ عليَّ » : قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : « قال العلماء : معناه أكثرهم جُودًا وسماحة لنا بنفسه وماله ، وليس هو المَنّ الذي هو الاعتداد بالصنيعة ؛ لأنه أذى مبطل للثواب ، ولأن المِنّة لله ولرسوله ﷺ في قبوله ذلك وفي غيره » اهـ
« شرح النووي » (١٥ / ١٥٠) و« فتح الباري » (١ / ٥٥٩) .

(٣) « إرشاد السائرين » ص (٣٧) و« الرياض النضرة » للمحب الطبري (١ / ١٩٥) .

۞ بويع في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة ، ثم بويع البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم وذلك في شهرِ ربيعِ الأولِ سنة إحدى عشرة[١] ،

۞ ومن تواضعه رضي الله عنه وبُعده عن كبرياء الولاية قال لما ولي الخلافة : « إنِّي وُلِّيتُ عليكم ، وَلَسْتُ بِخَيْرِكُم » .

* قال الإمام أبو القاسم التيمي رحمه الله : « قال أهل العلم : مذهب هذا الكلام مذهب التَّواضع والتَّباعد من كبرياء الولاية ، ولم يزل من شيم ومذاهب الصَّالحين والأخيار أن يهتضموا أنفسهم وأن يسوّغوا من حقوقهم ، وقد كان لأبي بكر رضي الله عنه برسول الله أُسْوة حين يقول : « ليسَ لِأَحَدٍ أن يقول : أَنَا خَيْر من يونُسَ بن مَتَّى »[٢] وهو ﷺ سيد ولد آدم أحمرهم وأسودهم . وقال سفيان بن عيينة : بلغنا عن الحسن البصري أنه ذكر قول أبي بكر رضي الله عنه هذا ثم قال : بلى إنه لخيرهم ولكن المؤمن يَهْضِم نفسه »[٣] .

---

(١) « تلقيح فهوم أهل الأثر » لابن الجوزي (٨٣) ، و « جامع الأصول » لابن الأثير (١٢ / ٣٠٤) .

(٢) البخاري (٣٣٩٥) ومسلم (٢٣٧٧) (١٦٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : « ما ينبغي لأحد أن يقول إني خير من يونس بن متى » .

(٣) « الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرتهم » ص (٨٥) .

❁ وتوفي بعد النبيِّ ﷺ بسنتينِ وأشهرٍ بالمدينةِ ، لثمان بقين من جمادي الآخرة من سنة ثلاث عشرة ، وله ثلاث وستون سنة ، وهو ابنُ ثلاث وستين سنةً ، وصَلَّى عليه عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ، ودُفِنَ معَ النبيِّ ﷺ ، وكانت مُدة خلافته سنتين وأربعةِ أشهرٍ .

فائدة

قال بعض الرَّافِضَـة لبعض أهل السُّنة : من يكون أشرفُ من خمسة تحت عباءة سَادِسُهم جبريل ؟ فقال السُّنِّي : « اثنان في الغار ثَالثهما اللّه »[١] .



---

(١) « كشف المشكل » لابن الجوزي (١ / ١٤) .

(٢) راجع : ترجمة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق في :
- « فضائل الصحابة » للإمام أحمد (١ / ٦٥)
- والطبقات الكبرى » لابن سعد (٣ / ١٢٥)
- و« المعارف » لابن قتيبة (١٦٧)
- و« الاستيعاب » لابن عبد البر (٢ / ٢٣٤)
- و« الإصابة » لابن حجر (٢ / ٣٣٣)
- و« تاريخ الخلفاء » للسيوطي ص (٢١ ـ ٨٥) .
- و« لوامع الأنوار » للسفاريني (٢ / ٢١١) .
- و« عقيدة أهل السنة في الصحابة » (١/ ٢١٩ ـ ٢٤٢) .

الفصل الثاني

تخريج الحديث

طُرُق هذا الحديث تَدُور على يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مرثد بن عبد اللّه اليزني ، عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما عن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه .

ـ فمن العلماء مَنْ رجَّح كونه من « مسند أبي بكر الصديق » مثل البزار .

ـ ومنهم مَنْ مال لجعله من « مسند عبد اللّه بن عمرو » مثل أبوزرعة .

* ففي « علل الحديث » لابن أبي حاتم (٢ / ٢٠٤) : « سُئِل أبو زرعة عن حديث رواه يونس بن محمد وسعيد بن سليمان وقتيبة عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد اللّه بن عمرو عن أبي بكر الصديق أنه قال : عَلَّمَني رسول اللّه ﷺ دعاء أدعو به في صَلَاتي ..

قال أبو زرعة رحمه الله : المصريون يقولون في هذا الحديث : عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد اللّه بن عمرو أن أبا بكر سأل النبي ﷺ ، وكذا يرويه ابن وهب عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة .

وهو بعبد اللّه بن عمرو أن أبا بكر سأل النبي ﷺ أشبه » اهـ .

وبذلك يظهر أن عمرو بن الحارث وابن لهيعة خالفا الليث بن سعد فجعلاه من « مسند عبد اللّه بن عمرو » ولا يقدح هذا الاختلاف في صحة الحديث كما قال الحافظ في « الفتح » (٢ / ٣٢٠)

وهذه طُرُق الحديث مُفَصَّلة ؛ فقد رواه عن يزيد بن أبي حبيب :

١ـ الليث بن سعد

٢ـ عمرو بن الحارث

٣ـ عبد الله بن لهيعة

الطريق الأول

عن الليث بن سعد أبو الحارث المصري الإمام الفقيه ت ١٧٥هـ

وفيه يرويه الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد اللّه بن عمرو عن أبي بكر الصديق أنه قال لرسول الله ﷺ : عَلِّمَني دعاء ..

ومقتضى هذه الرواية كما يقول الحافظ في « الفتح » (٢ / ٣١٩) أن الحديث من « مسند أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه » .

* وقد رواه عن الليّث بن سعد جماعة منهم :

١ – قتيبة بن سعيد : أبو رجاء ت ٢٤٠ هـ

أخرجه البخاري في الأذان (٨٣٤) .

ومسلم في الدعوات (٢٧٠٥) (٤٨) .

والترمذي في الدعوات (٣٥٣١) وقال : « حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ » .

والنسائي في « الكبرى » : في الصلاة (١/ ٣٨٧) ، وفي النعوت (٤ / ٤٠٧) ، وفي المجتبى (٣ / ٥٣)

والبيهقي في السنن الكبرى (٢ / ١٥٤) .

والخليلى في « الإرشاد » (١ / ٤٠٢) برقم (٩٨) .

وابن منده في « التوحيد (٣٠٦) .

والطائي في « الأربعين » (١) .

٢ـ عبد الله بن يوسف أبو محمد ت ٢١٨ هـ :

أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٢٦) .

٣ـ محمد بن رمح بن المهاجر أبو محمد ت ٢٤٢ هـ

رواه مسلم في الدعوات (٢٧٠٥) (٤٨) مكرر .

وقال : « ظلمًا كبيرًا » بدل « ظلمًا كثيرًا » .

وابن ماجة في الدعاء (٣٨٣٥) ، والطائي في « الأربعين » (١) .

٤ـ أبو الوليد الطيالسي هشام بن عبد الملك ت ٢٢٧هـ

رواه ابن حبان (١٩٧٦ ـ الإحسان) . وأبو يعلى (٣١) .

والبزار (البحر الزخار ـ برقم ٢٩) .

وقال البزار (١/ ١٩٥) : « إسناده حسن ، وقد رواه غير واحد عن الليث بن سعد فاقتصرنا على رواية أبي الوليد دون غيره » .

* وقال أيضًا (١ / ٨٦) : « وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي بكر عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد ، وقد رواه بعض أصحاب الليث عن الليث بهذا الإسناد ، وعن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال : يا رسول الله . وبعضهم قال : عن أبي بكر فذكرناه عن أبي الوليد واجتزينا به إذ كان ثقة وقد أسنده » اهـ .

٥ـ آدم بن إياس أبو الحسن العسقلاني ت ٢٢١هـ

رواه البيهقي في « الدعوات الكبير » (٩٠) .

٦ـ حجاج بن محمد المصيصي أبو محمد الأعور ت ٢٠٦ هـ

رواه أحمد رقم (٢٨) .

٧ـ الحسن بن موسى الأشيب أبو علي ت ٢٠٩هـ

رواه عبد بن حميد (٥) .

وستأتي روايته أيضًا عن ابن لهيعة عند أحمد في الطريق الثالث .

٨ـ سعيد بن أبي مريم أبو محمد المصري ت ٢٢٤هـ

رواه البيهقي في « الدعوات الكبير » (٩٠) .

٩ـ سعيد بن سليمان أبو عثمان ت ٢٢٥هـ

رواه ابن قانع في « معجم الصحابة » (٢ / ٦١) .

١٠ – شبابة بن سَـوَّار أبو عمرو المدائني ت ٢٠٤ أو ٢٠٥ أو ٢٠٦هـ .

رواه المرروزي في « مسند الصديق » (٦٠) .

١١ـ شعيب بن الليث أبو عبد الملك المصري ت ١٩٩ هـ

رواه ابن خزيمة (٨٤٥) .

وأبو عوانة في الدعوات ، كما في « اتحاف المهرة » (٨ / ١٩٩) .

١٢ـ عاصم بن على أبو الحسين ت ٢٢١هـ

رواه أبو يعلى (٣١) .

وابن قانع في « معجم الصحابة » (٢ / ٦١) .

والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٩٠) .

١٣ـ عبد اللّه بن صالح أبو صالح كاتب الليث ت ٢٢٢هـ

رواه الطبراني في الدعاء (١ / ١٩٨) .

والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٩٠) .

١٤ – عبد اللّه بن عبد الحكم أبو محمد الفقيه ت ٢١٤هـ

رواه ابن خزيمة (٨٤٥) .

١٥ – هاشم بن القاسم أبو النضر ت ٢٠٧ هـ

رواه أحمد رقم (٨) .

والمروزى في « مسند الصديق » رقم (٦١) .

والبغوي في « شرح السنة » (٦٩٤) .

وأبو يعلى رقم (٣٠) .

١٦ – يحيى بن بكير أبو زكريا المصري ت ٢٣١هـ

رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢ / ١٥٤)

وفي « الأسماء والصفات » (١ / ١٥٢) برقم (٩٥) .

١٧- يونس بن محمد المؤدب ت ٢٠٧ هـ

رواه أحمد رقم (٨) .

وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦ / ٤٦) .

وأبو عوانة كما في « إتحاف المهرة » (٨ / ١٩٩) .

وقال : « كبيرًا » بدل « كثيرًا » .

* * * *

الطريق الثاني

عن عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري أبو أمية ت قبل ١٥٠هـ

وفيه يرويه ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب أنه سمع عبد اللّه بن عمرو يقول : إن أبا بكر قال للنبي ﷺ ..

ومقتضى هذه الرواية أن الحديث من « مسند عبد الله بن عمرو »

*** وقد رواه عن عبد الله بن وهب :**

١ - أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح ت ٢٥٠ هـ

رواه مسلم في الدعوات (٢٧٠٥) .

والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (١٧٩) .

وعندهما : « في صلاتي وفي بيتي » .

٢ - يحيى بن سليمان بن يحيى بن سعيد : أبو سعيد ت ٢٣٧ هـ

رواه البخاري معلقًا في الدعوات (٦٣٢٦) .

وقد وصله في التوحيد (٧٣٨٨) وفي الأدب المفرد (٧٠٦) .

تنبيه : قال الحافظ في « الفتح » (١٣ / ٣٧٥) : « المشهور في الروايات : « ظلمًا كثيرًا » بالمثلثة ووقع هنا للقابسي بالموحدة » اهـ .

٣ - يونس بن عبد الأعلى أبو موسى المصري ت ٢٦٤هـ

رواه ابن خزيمة (٨٤٦) وعنده زيادة : « وفي بيتي » .

وأبو عوانة كما في « اتحاف المهرة » (٨ / ١٩٩) .

والقزويني في « التدوين » (١ / ٢٩٧)

٤ - هارون بن معروف :

رواه أبو يعلى (١ / ٣٨) برقم (٣٢) .

ومن طريقه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (١٥٩) .

وعنده زيادة : « وفي بيتي » .

* * * *

الطريق الثالث

عبد اللّه بن لهيعة أبوعبد الرحمن المصري ت ١٧٤هـ

وهذه الرواية مثل رواية عمرو بن الحارث السابقة في كونها جعلت الحديث من « مسند عبد الله عمرو بن العاص » أيضًا .

*** وقد رواه عن عبد اللّه بن لهيعة :**

١ـ عبد اللّه بن وهب أبو محمد ت ١٩٧هـ

ابن خزيمة (٨٤٦) بزيادة : « وفي بيتي » .

والقزويني في « التدوين » (١ / ٢٩٦ ، ٢٩٧) .

ورواية ابن وهب عن ابن لهيعة صحيحة كما قال عبد الغني بن سعيد الأزدي والسّاجي وغيره : إذا روى العبادلة عن ابن لهيعة فهو صحيح ابن المبارك وابن وهب وابن المقرئ » .

راجع : « تهذيب التهذيب » (٢ / ٤١٣) .

وبهذا يظهر أن ابن وهب رواه عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة فجعله من مسند « عبد الله بن عمرو » ، وهو ما مال إليه أبو زرعة في « علل الحديث » (٢ / ٢٠٤) .

تنبيه : وقع عند مسلم من طريق الليث وطريق ابن وهب وزاد مع عمرو

ابن الحارث رجلًا مبهمًا . وهذا الرجل المُبْهم هو عبد الله بن لهيعة كما بينَّ ابن خزيمة في روايته التي ذكرنا .

٢ـ الحسن بن موسى : أبوعلى حسن الأشيب ت ٢٠٩هـ

وقد تقدمت روايته للحديث عن الليث بن سعد في الطريق الأول .

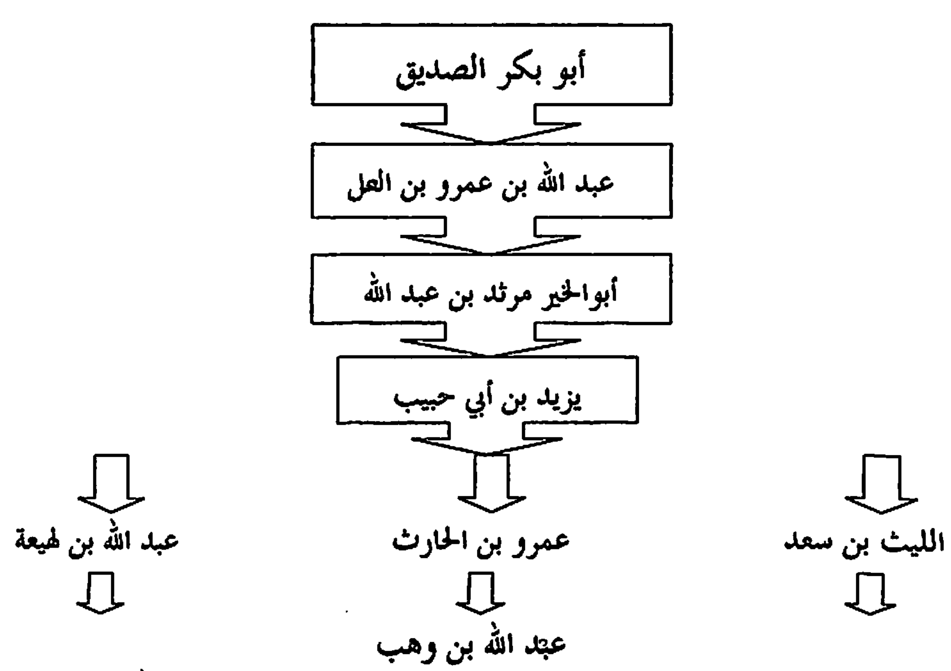
وقد أخرج أحمد (٨) هذه الروايه بعد أن ذكر رواية هاشم بن القاسم عن الليث ؛ ثم قال : حدثناه الأشيب عن ابن لهيعة قال : « كبيرا » .

قال الحافظ في « اتحاف المهرة » (٨ / ٢٠٠) : كأنه عن يزيد نحوه .

وإلى ذلك مال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١ / ٢٦) .

❋ ❋ ❋ ❋

مخطط يبين طرق حديث أبي بكر الصديق مع ذكر مخرجيها



الليث بن سعد:

١- قتيبة بن سعيد (خ ، م ت ، ن ، الخليلي ، ابن منده ، الطائي)
٢-عبد الله بن يوسف (خ)
٣- محمد بن رمح (م ، هـ ، الطائي)
٤- أبو الوليد الطيالسي (ابن حبان ، أبو يعلى ، البزار)
٥- آدم بن أبي إياس (البيهقي في الدعوات الكبير)
٦- حجاج بن محمد المصيصي (حم)
٧- الحسن بن موسى الأشيب (عبد بن حميد)
٨- سعيد بن أبي مريم (البيهقي في الدعوات الكبير)
٩- سعيد بن سليمان (ابن قانع)
١٠- شبابة بن سوار (المروزي)
١١- شعيب بن الليث (ابن خزيمة ، أبو عوانة)
١٢- عاصم بن علي (أبو يعلى ، ابن قانع ، البيهقي في الدعوات الكبير)
١٣- عبد الله بن صالح (الطبراني في الدعاء ، البيهقي في الدعوات الكبير)
١٤- عبد الله بن عبد الحكم (ابن خزيمة)
١٥- هاشم بن القاسم (حم ، المروزي ، أبي يعلى ، البغوي)
١٦- يحيى بن بكير(البيهقي في السنن الكبرى والصغرى والأسماء والصفات)
١٦- يونس بن محمد المؤدب (حم ، ابن أبي شيبة)

عمرو بن الحارث — عبد الله بن وهب:

١- أحمد بن أبي السرح (م ، ن في الكبرى وفي عمل اليوم)
٢- يحيى بن سليمان (خ معلقا وموصولا ، وفي الأدب المفرد)
٣- يونس بن عبد الأعلى (القزويني ،ابن خزيمة ، أبو عوانة)
٤- هارون بن معروف (أبو يعلى ، ابن السني في عمل اليوم والليلة)

عبد الله بن لهيعة:

١-عبد الله بن وهب (القزويني ، ابن خزيمة)
٢- الحسن بن موسى الأشيب (حم)

الفصل الثالث

من زوائد الفوائد وشوارد الفرائد



فَائِدَة

۞ هذا الدعاء من الأدعية الجوامع ۞

خَصَّ اللَّهُ تعالى نبينا محمد ﷺ بجوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، فربما جمع له أشتات الحكم والعلوم في كلمة أو شطر كلمة ، وهو القائل ﷺ : « بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِم »[١] .

وجوامع الكلم التي خُـصَّ بها النبي ﷺ نوعان : أحدهما : ما هو في القرآن كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ قال الحسن لم تترك هذه الآية خيرا إلا أَمَرَت به ولا شَرًّا إلا نَهَت عنه . والثاني : ما هو في كلامه ﷺ ، وهو منتشر موجود في السُّنن المأثورة عنه ﷺ »[٢] .

ويأتي على رأس السنن المأثورة : الأدعية الجوامع التي نَطَقَ بها النبي ﷺ وحَثَّ علي حفظها وتَعَاهُدِهَا وتَعَلُّمها .

والجوامع من الدُّعاء : هي التي تجمع الأغراض الصَّالحة والمقاصد الصَّحيحة أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة[٣] .

---

(١) البخاري (٩٢٧٧) ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) قاله ابن رجب ؛ « جامع العلوم والحكم » (١ / ٥٥) .

(٣) « لسان العرب » (٨ / ٥٤) و « النهاية » لابن الأثير (١ / ٢٩٥) .

وهذا ما ينطبق على الدُّعاء الذي علمه النبي ﷺ لأبي بكر الصديق .

* قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله : « وهذا الحديث من أَحْسَن الأدعية ؛ لأنه إقرارٌ بظلم النفس واعتراف بالذَّنب كالمانع من الإنعام ، والاعتراف بها يمحوها فيرتفع الحاجز »(١) .

* وقال العلامة الكرماني رحمه الله : « هَذَا الدُّعَاء مِنْ الْجَوَامِع ؛ إذ فِيهِ اعْتِرَاف بِغَايَةِ التَّقْصِير وهو كونه ظالمًا ظُلمًا كثيرًا ، وَطَلَب غَايَة الْإِنْعَام التي هي المغفرة والرحمة ، إذ الْمَغْفِرَة سَتْر الذُّنُوب وَمَحْوُهَا ، وَالرَّحْمَة إيصَال الْخَيْرَات ، فَالْأَوَّل : عبارة عن الزَّحْزَحَة عَنْ النَّار ، والثَّاني : إِدْخَال الْجَنَّة وهُوَ الْفَوْز الْعَظِيم »(٢) .

*** فهذا الحديث يُعَدُّ بحقٍّ أَصْلٌ عام شامل لكل دُعاء .**

* يقول الوزير العلامة ابن هبيرة رحمه الله : « وقوله : « إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرا » فيه من الفقه : أن رسول الله ﷺ أَصَّلَ له هذا الحديث تأصيلا عامًّا شاملا لكل دعاء . وبيان ذلك : أن الطَّلب من الله سبحانه وتعالى يُنَاسِبُه ويلائمه الافتقار إليه ، والحاجة ، والمسكنة ، كما يُباينه

---

(١) « كشف المشكل » لابن الجوزي (١ / ١٣) .

(٢) « الكواكب الدراري » للكرماني (٢٢ / ١٣٨) ، ونقله في « فتح الباري » (١١ / ١٣١) و « إرشاد الساري » (٢ / ١٣٢) .

وينافيه الإدلال والتغاني في الرُّكُون إلى نوع عبادةَ أو طاعة ؛ فإذا اعترف الطالب لله عز وجل بأنه قد أتى ما مقتضاه الفقر والحاجة إلى فضله وعفوه استهدف لعطائه ونزول شآبيب رحمته .

وقال له : قل « اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِك ، وَارْحَمْنِي إنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » يعني ﷺ : أنك إذا تطهرت من ظلم نفسك ، وغَفَر لك وَرَحِمَكَ ، كانت هذه مُقَدِّمات بين يدي طلبك ، فَحَسُن منك حينئذ الطلب ، ولم يصادف العطاء حاجزًا من ظُلْم يمنع نيل العهد الذي ذكره سبحانه في قوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] . ولا ذنب لم يُمْحَ بعد فيكون الاشتغال بمحوه عند المؤمن أَهَمُّ من الطلب لغيره ، فكأنه ﷺ يقول له : فإذا دَعَوت بهذا الدعاء انتحت الحواجز بينك وبين العطاء فاطلب حينئذ ما شئت ، وادْعُ بما أردت »[١] .

* ومما يؤكد كون هذا الدعاء من جوامع الأدعية وأحسنها : **أن هذا الدعاء يشمل أكمل أنواع آداب الدعاء وأداب العبودية .**

* قال الحافظ ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « والدعاء ثلاثة أقسام :

---

(١) « الإفصاح عن معاني الصحاح » لابن هبيرة (١ / ٥٠ ، ٥١) .

أحدها : أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته . وهذا أحد التأويلين في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

والثاني : أن تسأله بحاجتك وفَقْرِك وذلك ، فتقول : أنا العبد الفقير المسكين البائس الذَّليل المُسْتَجِير ونحو ذلك .

والثالث : أن تسأل حاجتك ولا تذكر واحدًا من الأمرين .

فالأول أكمل من الثاني .

والثاني أكمل من الثالث .

فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل .

وهذه عامة أدعية النبي ﷺ .

وفي الدعاء الذي علمه صديق الأمة رضي اللّه عنه ذكر الأقسام الثلاثة :

فإنه قال في أوله : « **ظَلَمْت نَفْسِي ظُلْمًا** » وهذا حال « السائل » .

ثم قال : « **وإنه لَا يَغْفِر الذُّنُوب إِلَّا أَنْتَ** » وهذا حال « المسؤول » .

ثم قال : « **فاغفر لي** » فذكر حاجته . وختم الدعاء باسمين من الأسماء الحسنى تُناسب المطلوب وتقتضيه »[1] .

---

(١) « جلاء الإفهام » ص (٢٥١) .

فَائِدَة

۞ هذا الدعاء مطابق لدعاء الأنبياء ۞

* يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :

« المُحَرَّمَاتِ فِي الشَّرِيعَةِ تَرْجِعُ إِلَى الظُّلْمِ : إِمَّا فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِمَّا فِي حَقِّ الْعَبْدِ ، وَإِمَّا فِي حُقُوقِ الْعِبَادِ .

وَكُلَّمَا كَانَ ظُلْمًا فِي حَقِّ الْعِبَادِ فَهُوَ ظُلْمُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ ؛ وَلَا يَنْعَكِسُ فَجَمِيعُ الذُّنُوبِ تَدْخُلُ فِي ظُلْمِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ .

* وَأَوَّلُ مَنْ اعْتَرَفَ بِهَذَا « أَبُو الْبَشَرِ » ؛ لَمَّا تَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ الْكَلِمَاتِ فَقَالَ : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

فَكَانَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ اعْتِرَافُهُ بِذَنْبِهِ وَطَلَبُهُ رَبَّهُ عَلَى وَجْهِ الِافْتِقَارِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ . فَالْمَغْفِرَةُ إِزَالَةُ السَّيِّئَاتِ ، وَالرَّحْمَةُ إِنْزَالُ الْخَيْرَاتِ .

فَهَذَا ظُلْمٌ لِنَفْسِهِ لَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ لِغَيْرِهِ .

* وَقَالَ مُوسَى عليه السلام لَمَّا ذَكَرَ الَّذِي هُوَ مِنْ عَدُوِّهِ : ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ [القصص : ١٥ - ١٦] .

فَاعْتَرَفَ بِظُلْمِهِ نَفْسَهُ فِيمَا كَانَ مِنْ جِنَايَةٍ عَلَى غَيْرِهِ لَمْ يُؤْمَرْ بِهَا .

* وَقَالَ يُونُسُ عليه السلام : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

* وَفِي الصَّحِيحِ الدُّعَاءُ الَّذِي عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ فِي صَلَاتِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِك وَارْحَمْنِي إنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

فَهَذَا الدُّعَاءُ مُطَابِقٌ لِدُعَاءِ آدَمَ فِي الِاعْتِرَافِ بِظُلْمِ النَّفْسِ وَمَسْأَلَةِ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ »[1] .

فائدة

دعاء ينبغي أن يدعى به في البيوت

في قول الصِّديق للنبي ﷺ : « علمني دُعَاء أدْعُو به في صَلاتي وفي بَيْتي » دليل على أن هذا الدعاء ينبغي أن يقرأ ويدعى به في البيوت كما يدعى به في الصلاة ، وأنه ينبغي أن يُعَلَّم لأهل البيت ، فما أحوج بيوتنا لأن يُقْرَأ فيها مثل هذه الأدعية الجامعة التي تَعُود عليهم بالخير الوفير ؟

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٢٩ / ٢٧٨) . وراجع أيضًا : « مجموع الفتاوى » (١١ / ٦٩١) « فتح الباري » (١١ / ١٣٢) .

فائدة

۞ الانسان لا يعرى عن تقصير ولو كان صديقا ۞

* قال العلامة ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« وفيه دليل على أن الواجب على العبد أن يكون على حَذَر من ربه في كل أحواله ؛ وإن كان من أهل الاجتهاد في عباداته في أقصى غاياته ، إذ كان الصديق مع موضعه من الدين لم يَسْلَم مما يحتاج إليه استغفار ربه منه »[(١)] .

* ويقول الحافظ ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« وَقَوْلُهُ : « **إِنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا** » دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْرَى مِنْ ذَنْبٍ وَتَقْصِيرٍ ، كَمَا قَالَ عليه الصلاة والسلام : « اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا » ، وَفِي الْحَدِيثِ : « كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ . وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » ، وَرُبَّمَا أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ الْأَمْرُ بِهَذَا الْقَوْلِ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ وَتَخْصِيصٍ بِحَالَةٍ ، فَلَوْ كَانَ ثَمَّةَ حَالَةٌ لَا يَكُونُ فِيهَا ظُلْمٌ وَلَا تَقْصِيرٌ لَمَا كَانَ هَذَا الْإِخْبَارُ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ فَلَا يُؤْمَرُ بِهِ »[(٢)] .

---

(١) « شرح صحيح البخاري » لابن بطال (١٠ | ٩٣) .

(٢) « إحكام الأحكام » (١/ ٣١٤) .

* وقال العلامة السندي رَحِمَهُ اللَّهُ :

« فيه أن الإنسان كثير التَّقصير وإن كان صِدِّيقاً ؛ لأن النِّعم عليه غير مُتَنَاهية وقُوَّته لا تطيق بأداء أقل قليل من شُكرها بل شكره من جملة النعم أيضاً فيحتاج إلى شُكر هو أيضاً كذلك فما بقي له إلا العَجْز والاعتراف بالتَّقصير الكثير كيف وقد جاء في جملة أدعيته ﷺ : « ظلمت نفسي »[1] .

فائدة

غفران الله عظيم لا يُدرك كنهه

* قَالَ العلامة الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

« قوله : « **مَغْفِرَةً** » : أي غُفْرانًا ، ودَلَّ التَّنْكِيرُ عَلَى أَنَّ الْمَطْلُوبَ غُفْرَانٌ عَظِيمٌ لَا يُكتنه كُنْهُهُ .

ثم وَصْفُهُ بقوله « **مِنْ عِنْدِك** » مُرِيدًا لِذَلِكَ التعظيم ؛ لِأَنَّ ما يَكُونُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْف واصف ، كما في قوله : ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ »[2] .

---

(١) « حاشية السندي على النسائي » (٣ / ٥٣) .

(٢) « شرح الطيبي على المشكاة » (٢ / ٣٧٣) .

* ويقول العلامة ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ :

« قوله : « فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِك » : المعنى أنها لاتكون بسببٍ من عِنْدي فَتَفْنَىٰ وَتَنْقَضِي ؛ لأنه كل ما يكون مطلعه مِنِّي فإنه يَفْنَىٰ ويَضْمَحِل ، إنما المراد أن تكون المغفرة من الله الباقي فتبقىٰ .

ثم قال بعد ذلك : « وارْحَمْنِي » إذ الغفر في وضع اللغة : السَّتْر والتغطية فقد يغطى الشيء ولا تعقبه الرَّحمة ، وقد يُسْتَر الأمر ولا يمحوه الصَّفْح . فلما قال « فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِك وَارْحَمْنِي » كان طلبًا لمحو السَّيِّئة وتطييب أثرها » .. والمعني بقوله : « إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » أنه تعيين لهذا المعنى ، أنه ليس لغيرك ، فكأنه قال : لا غَفُور ولا رَحِيم على الحقيقة غيرك »[١] .

فائدة

۞ من لطائف إسناد الحديث ۞

* قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : « وفيه تابعي عن تابعي وهو يزيد عن أبي الخير ، وصحابي عن صحابي وهو عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق »[٢] .

---

(١) « الإفصاح » لابن هبيرة (١ / ٥٠ ، ٥١) .   (٢) « فتح الباري » (٢ / ٣١٩) .

فَائِدَةٌ

۞ استجلاب مغفرة الله ۞

* يقول ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ :

« وَقَوْلُهُ ﷺ : « وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » إِقْرَارٌ بِوَحْدَانِيَّةِ الْبَارِي تَعَالَى ، وَاسْتِجْلَابٌ لِمَغْفِرَتِهِ بِهَذَا الْإِقْرَارِ كَمَا قَالَ ﷺ : « عَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ » . وَقَدْ وَقَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ امْتِثَالٌ لِمَا أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ »(١) .

فَائِدَةٌ

۞ الحثُّ على إيثار أمر الآخرة ۞

* قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ :

« وَفِي تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ هَذَا الدُّعَاءِ إِشَارَةٌ إِلَى إِيثَارِ أَمْرِ الْآخِرَةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا ، وَلَعَلَّهُ فَهِمَ ذَلِكَ مِنْ حَالِ أَبِي بَكْرٍ وَإِيثَارِهِ أَمْرَ الْآخِرَةِ »(٢) .

---

(١) « إحكام الأحكام » (١ / ٢١٥) .

(٢) « فتح الباري » (١١ / ١٣٢) .

فَائِدَة

۞ الرد على زعم : أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا من لا ذنب له ۞

* قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : « فِي حَدِيث أَبِي بَكْر دَلَالَة عَلَى رَدّ قَوْل مَنْ زَعَمَ : أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقّ اِسْم الْإِيمَان إِلَّا مَنْ لَا خَطِيئَة لَهُ وَلَا ذَنْب ؛ لِأَنَّ الصِّدِّيق مِنْ أَكْبَر أَهْل الْإِيمَان وَقَدْ عَلَّمَهُ النَّبِيّ ﷺ أَنْ يَقُول : « إِنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِر الذُّنُوب إِلَّا أَنْت »[1] .

يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى مذهب الخوارج الذين يُكَفِّرون بالذنوب وغيرهم ممن يظن أن أن ظلم النفس المراد به الكفر والشرك .

فَائدة

۞ ظلم النفس لا ينافي الصديقية والولاية ۞

وقد بيَّن العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مبحثٍ رائع الرد على من زعم أن الله لا يصطفي من عباده ظالما لنفسه فقال :

« وأما قولكم : إنَّ الله لا يصطفي من عباده ظالمًا لنفسه ؛ لأن الاصطفاء

(١) « فتح الباري » (١١ / ١٣١) .

هو الاختيار من الشيء صفوته وخياره إلى آخر ما ذكرتم ؟ فجوابه : أن كون العبد مصطفى لله ووليًا لله ومحبوبًا لله ونحو ذلك من الأسماء الدالة على شرف منزلة العبد وتقريب الله له لا ينافي ظلم العبد نفسه أحيانًا بالذنوب والمعاصي بل أبلغ من ذلك أن صديقيته لا تنافي ظلمه لنفسه ولهذا قال صديق الأمة وخياره للنبي ﷺ : « علمني دعاء ادعو به في صلاتي ، فقال : قل : « اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » . وقد قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٥] .

فأخبر سبحانه عن صفات المتقين وأنهم يقع منهم ظلم النفس والفاحشة لكن لا يصرون على ذلك .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي

كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣ ـ ٣٥] .

فهؤلاء الصِّديقون المتقون قد أخبر سبحانه أن لهم أعمالًا سيئة تكفرهم ولا ريب أنه ظلم للنفس .. وإذا كان ظُلْم النَّفْس لا يُنَافي الصِّدِّيقية والولاية ولا يُخْرِجُ العَبْد عن كَوْنِهِ من المتقين ، بل يجتمع فيه الأمران ؛ يكون وَلِيًا للّه صِدِّيقًا مُتَقِيًا وهو مُسِيء ظالمٌ لنفسه علم أن ظُلْمه لنفسه لا يُخْرِجه عن كونه من الذين اصطفاهم اللّه من عباده وأورثهم كتابه إذ هو مُصْطَفى من جهةِ كونه من وَرَثة الكتاب علمًا وعملًا ، ظالم لنفسه من جهة تَفْرِيطه في بعض ما أُمِر به وتَعَدِّيه بعض ما نُهِي عنه كما يكون الرجل وليًا للّه محبوبًا له من جهة ومَبْغُوضًا له من جهة أُخرى .

وهذا عبد اللّه بن حمار كان يُكْثر شُرْب الخمر ، واللّه يبغضه من هذه الجهة ، ويحب اللّه ورسوله ويُحِبّه اللّه ويُواليه من هذه الجهة ، ولهذا نَهَى النّبي عن لَعْنَته وقال : « إنه يُحِبّ اللّه ورسوله »[١] .

ونكتة المسألة : أن الاصطفاء والولاية والصِّدِّيقية وكون الرَّجل من الأبرار ومن المتقين ونحو ذلك كلها مراتب تقبل التجزيء والانقسام والكمال ولا نُقْصَان كما هو ثابت باتفاق المسلمين في أَصْل الإيمان .

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وعلى هذا : فيكون هذا القسم مُصْطَفى من وجه ظالمًا لنفسه من وجه آخر .

وظُلْم النَّفْس نوعان :

- نوعٌ لا يبقى معه شيء من الإيمان والولاية والصديقية والاصطفاء ، وهو ظلمها بالشِّرك والكفر .

- ونوعٌ يبقى معه حظّه من الإيمان والاصطفاء والولاية وهو ظلمها بالمعاصي وهو درجات مُتَفاوتة في القَدْر والوصف »[١] .

فائدة

من بلاغة الحديث

المُقَابلة في الكلام من أسباب حُسْنِه وإيضاح معانيه ، وهي أن يُؤْتَى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب[٢] .

وفي قوله ﷺ « إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » صِفَتَانِ ذُكِرَتَا خَتْمًا لِلْكَلَامِ عَلَى جِهَةِ الْمُقَابَلَةِ لِمَا تَقَدَّمَ ، فَالْغَفُورُ مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ « اغْفِرْ لِي » . وَالرَّحِيمُ مُقَابِلٌ « ارْحَمْنِي » وَهِيَ مُقَابَلَةٌ مُرَتَّبَةٌ[٣] .

---

(١) « طريق الهجرتين » (١ / ٣٦٣) .

(٢) « البلاغة الواضحة » لعلي الجارم ص (٢٨٥) .

(٣) « إرشاد الساري » (٢ / ١٣٢) و« شرح النسائي » للسندي (٣ / ٥٣) .

فـائدة

۞ توخي الوارد المأثور في الدعاء ۞

* يقول الوزير العلامة ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ :

« وفيه أيضًا : أنه لا يُدعى في الصلاة إلا بما ورد في الأخبار ؛ لأن أبا بكر رضي اللَّه عنه لم يستجز أن يدعو في الصلاة إلا بما يتلقنه من رسول الله ﷺ ، فأما غير الصلاة فيدعو فيها بما يشاء »(١) .

* ويقول العلامة أبو بكر ابن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ :

« إن الله أذن في دُعائه ، وعلَّم الدُّعاء في كتابه لخليقته ، وعلَّم النبي ﷺ الدعاء لأُمته ، فاجتمعت فيه ثلاثة أشياء : العلم بالتوحيد والعلم باللغة والنصيحة لأمته ، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دُعائه .

وقد احتال الشيطان للناس في هذا المقام فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ ، وأَشَدُّ ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء صلوات الله عليهم ، فيقولون : دعاء آدم ، دعاء نوح دعاء يونس ، دعاء أبي بكر الصِّديق ، فاتقوا الله في أنفسكم ولا تشتغلوا من الحديث بشيء إلا بالصحيح منه .

---

(١) « الإفصاح » لابن هبيرة (١ / ٥٠ ، ٥١) .

ويجوز للعالم بالله أن يدعو بغير المأثور بشرط أن لا يخرج عن التوحيد والأفضل له التيمن بما صحَّ عنه ، والتَّبرك بألفاظه الفصيحة المباركة »(١) .

قال القرافي : والأصل في هذا من الكتاب العزيز قوله تعالى حكاية عن نوح : ﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ ﴾ [هود : ٤٧] .

وهو دَالٌّ على : أن الأصل في الدعاء التحريم إلا ما دلَّ الدليل على جوازه »(٢) .

فائدة

۞ طلب تعلم العلم المتعلق بالأدعية ۞

* قال العلامة ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« في الحديث دليلٌ على شرعية طلب تَعَلُّم العلم من العلماء خُصُوصًا في الدعوات المتعلقة بالصَّلوات وإجابة العالم للمُتَعَلِّم سؤاله خصوصًا إذا كان المسؤول علمًا عمليًا وافتقارًا وتوحيدًا أو تنزيهًا »(٣) .

---

(١) « القبس شرح موطأ مالك » (٢ / ٤٢١ ، ٤٢٢) ونقله في « الإعلام شرح عمدة الأحكام » لابن الملقن (٣ / ٥١١) .

(٢) « الإعلام شرح عمدة الأحكام » لابن الملقن (٣ / ٥١١) .

(٣) المصدر السابق (٣ / ٥٠٢) .

فائدة

۞ مسألة : موضع هذا الدعاء من الصلاة هل يَعُم جميعها أم هو في مواطن معينة ؟ ۞

* قال الحافظ ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « هَذَا الْحَدِيثُ يَقْضِي الْأَمْرَ بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لِمَحَلِّهِ . وَلَوْ فَعَلَ فِيهَا ـ حَيْثُ لَا يُكْرَهُ الدُّعَاءُ فِي أَيِّ الْأَمَاكِنِ كَانَ ـ لَجَازَ . وَلَعَلَّ الْأَوْلَى : أَنْ يَكُونَ فِي أَحَدِ مَوْطِنَيْنِ : إِمَّا السُّجُودِ ، وَإِمَّا بَعْدَ التَّشَهُّدِ . فَإِنَّهُمَا الْمَوْضِعَانِ اللَّذَانِ أُمِرْنَا فِيهِمَا بِالدُّعَاءِ . قَالَ عليه الصلاة والسلام : « وَأَمَّا السُّجُودُ : فَاجْتَهِدُوا فِيهِ فِي الدُّعَاءِ »[١] ، وَقَالَ فِي التَّشَهُّدِ : « وَلْيَتَخَيَّرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ »[٢] وَلَعَلَّهُ يَتَرَجَّحُ كَوْنُهُ فِيمَا بَعْدَ التَّشَهُّدِ : لِظُهُورِ الْعِنَايَةِ بِتَعْلِيمِ دُعَاءٍ مَخْصُوصٍ فِي هَذَا الْمَحَلِّ »[٣] .

* وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

هَلْ الدُّعَاءُ عَقِيبَ الْفَرَائِضِ ، أَمْ السُّنَنِ ، أَمْ بَعْدَ التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ ؟

---

(١) مسلم (٤٧٩) (٢٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) البخاري (٨٣٥) ومسلم (٤٠٢) (٥٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) « إحكام الأحكام » (١ / ٣١٤ ، ٣١٥) .

فأجاب : السُّنَّةُ الَّتي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهَا وَيَأْمُرُ بِهَا أَنْ يَدْعُوَ فِي التَّشَهُّدِ قَبْلَ السَّلَامِ » وذكر منها دعاء ابي بكر »[١] .

وبوَّب البخاري بقوله : باب الدعاء قبل السلام[٢] .

وبوب البيهقي بقوله : باب ما يستحب له أن لا يقصر عنه من الدعاء قبل السلام[٣]

* وقال ابن الجوزي : « إن أولى المواضع به بعد التشهد »[٤] .

* ورجَّح القسطلاني أنه في آخر الصلاة بعد التشهد الأخير قبل السلام ثم قال : « وقال الفاكهاني : الأولى أن يدعو به في السجود وبعد التشهد ؛ لأن قوله : « في صلاتي » يعم جميعها ؛ وتعقب بأنه لا دليل له على دعوى الأولوية بل الدليل الصريح عام في أنه بعد التشهد قبل السلام » اهـ[٥] .

---

(١) « الفتاوى الكبرى » (/) .

(٢) البخاري (٢ / ٣١٧ ـ الفتح) .

(٣) البيهقي (٢ / ١٥٤) .

(٤) « كشف المشكل » (١ / ١٣) ونقله عنه ابن الملقن في « الإعلام » (٣ / ٥١٠) .

(٥) « إرشاد الساري » (٢ / ١٣٢) .

فائدة

۞ مسألة : هل يجوز الجمع بين روايتي الحديث فنقول : ظلمًا كثيرًا كبيرًا ۞

* قال العلامة الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

« إِذَا اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَاتُ فِي إِيقَاعِ الْعِبَادَاتِ عَلَى أَوْجُهٍ مُتَعَدِّدَةٍ :

ـ فَمِنْ الْعُلَمَاءِ رحمهم الله مَنْ سَلَكَ طَرِيقَةَ التَّرْجِيحِ بِاخْتِيَارِ أَحَدِهِمَا وَهِيَ طَرِيقَةُ الْإِمَامِ « الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ غَالِبًا .

ـ وَمِنْهُمْ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَةَ الْجَمْعِ بِفِعْلِهَا فِي أَوْقَاتٍ وَيَرَى أَنَّ الِاخْتِلَافَ مِنْ الْجِنْسِ الْمُبَاحِ ، وَهُوَ رَأْيُ ابْنِ سُرَيْجٍ ، وَلِذَلِكَ أَمْثِلَةٌ .. » ثم ذكر أمثلة كثيرة منها هذا الدعاء فقال : « وَمِنْهَا « قَوْلُهُ « اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ ، وَيُرْوَى « بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ » ، قَالَ النَّوَوِيُّ [(١)]: وَيَنْبَغِي الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا وَهُوَ بَعِيدٌ !! بَلْ الْأَوْلَى تَنْزِيلُهُ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ ، فَتَقُولُ هَذَا مَرَّةً وَهَذَا مَرَّةً »[(٢)] .

* وهذا ماذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول :

---

(١) « الأذكار » (٥٥) و « المجموع » (٣ / ٤٧٠) .

(٢) « المنثور في القواعد الفقهية » للزركشي (٢ / ١٤٣ - ١٤٦) .

« وَمِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ سَلَكَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُهَا وَيَعْمَلُهَا بِأَلْفَاظٍ مُتَنَوِّعَةٍ - وَرُوِيَتْ بِأَلْفَاظٍ مُتَنَوِّعَةٍ - طَرِيقَةٌ مُحْدَثَةٌ بِأَنْ جَمَعَ بَيْنَ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ وَاسْتَحَبَّ ذَلِكَ وَرَأَى ذَلِكَ أَفْضَلَ مَا يُقَالُ فِيهَا . مِثَالُهُ : الْحَدِيثُ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ : قُلْ : اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِك . وَارْحَمْنِي إنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » قَدْ رُوِيَ « كَثِيرًا » وَرُوِيَ « كَبِيرًا » فَيَقُولُ هَذَا الْقَائِلُ : يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ « كَثِيرًا كَبِيرًا » .

وَكَذَلِكَ إذَا رُوِيَ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ » ، وَرُوِيَ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ » وَأَمْثَالَ ذَلِك ، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مُحْدَثَةٌ لَمْ يَسْبِقْ إلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ الْمَعْرُوفِينَ .

وَطَرْدُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : أَنْ يَذْكُرَ التَّشَهُّدَ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْمَأْثُورَةِ ، وَأَنْ يُقَالَ : الِاسْتِفْتَاحُ بِجَمِيعِ الْأَلْفَاظِ الْمَأْثُورَةِ .

وَهَذَا مَعَ أَنَّهُ خِلَافُ عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْتَحِبَّهُ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّتِهِمْ بَلْ عَمِلُوا بِخِلَافِهِ فَهُوَ بِدْعَةٌ فِي الشَّرْعِ فَاسِدٌ فِي الْعَقْلِ »[١] .

---

(١) (مجموع الفتاوى) (٢٢ / ٤٥٢) وقد رد على من أجاز ذلك من وجوه كثيرة في (مجموع الفتاوى) (٢٤ / ٤٢) .

الفهارس العامة للكتاب



١- فهرس الآيات القرآنية

طرف الآيــة	رقمها	الفقرة
سورة الفاتحة		
﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	١٦٦
سورة البقرة		
﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى .. ﴾	٢ ـ ٤	١٦٥
﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾	١٠	١٨١
﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ .. ﴾	١٢٧ ، ١٢٨	٧
﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	٢٢٢	١٠٥
سورة آل عمران		
﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾	٨	٢٤٩
﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾	٨	٢٦٦
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى .. ﴾	٣١	٩٢
﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ .. ﴾	٣٧	٢٧٦
﴿ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً .. ﴾	٣٨	٢٦٥
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾	١٤٧	١٨٧
سورة النساء		
﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا .. ﴾	٣٦	١٤٦
﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾	٥٩	٩٣
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ .. ﴾	٦٤	٨٨
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ .. ﴾	٦٥	٨٩

(*) الفهارس لشرح حديث أبي بكر الصديق فقط .

سورة إبراهيم

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة القصص

سورة لقمان

سورة الصف

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾	٥	١٧٩

سورة المطففين

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾	١٤	١٨٢

سورة النصر

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾	١	٢٢
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾	٣	١٨

۞ ۞ ۞ ۞

٢- فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الراوي	الفقرة
« أَبْشِر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك .. »	كعب بن مالك	٢٧٥
أَحَبُّ الخَلْقِ إلى الله إمامٌ عَادِل .. »	–	١٤٥
« احْمِل كَلام أَخِيك عَلَى أَحْسنه .. »(*)	عمر	٢٧٧
« أَدْرَكْتُ ثَلاثِين مِن أَصْحَاب مُحَمَّد .. »(*)	ابن أبي مليكة	٢٤٣
« إِذَا أَذنَب العَبْدُ نُكِتَ في قَلْبِهِ .. »	أبو هريرة	٢٦٣
« أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بعضًا »	ابن عباس	٢٠٩
« اقْتَدُوا بالَّذَيْن مِن بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمر »	–	٢٢٧
« أَقُولُ فيها بِرأي فإن يكن صَوَابًا فمن الله .. »(*)	أبوبكر	٢١٠
« اللَّهُمّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتي وَجَهْلي .. »	أبو موسى	١٥ ، ٢٠١
« اللَّهُمّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ ؛ دِقَّهُ وَجِلَّهُ .. »	–	١٢
« اللَّهُمّ أَنْتَ المَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ .. »	علي	١١
« اللَّهُمّ بَاعِد بَيْني وَبَيْنَ خَطَايَايَ ، كَمَا .. »	أبو هريرة	١٣
« اللَّهُمّ لَكَ الحَمْدُ ؛ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَات .. »	ابن عباس	١٦
« أَهْل الثَّناء وَالمَجْد ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ .. »	أبو سعيد	١٤
« أَوَ تَزْنِي الحُرَّة »(*) .	ابن عباس	١٢٠
« إِيَّاكُم والغُلو في الدِّين ، فَإِنَّما أَهْلَكَ .. »	ابن عباس	٥٦
« أَيُّها النَّاس اتَّهموا الرأي عَلَى الدِّين .. »(*)	سهل بن حنيف	٢٢٦
« إِنَّ العَبْد إِذَا أَذْنَب نُكِتَ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ .. »	أبو هريرة	١٨٢
« إنَّ العبد لَيَعْمل السَّيئة فيدخل بها الجنة .. »(*)	–	١٠٨
« إِنَّ الله ضَرَبَ الحق عَلَى لِسَان عُمر .. »(*)	أبو ذر	٢١٣
« إِنَّ الله فَرَضَ فَرَائِض فَلَا تُضَيِّعُوها .. »	–	١٨٤

(*) كل ما وضع عليه هذه العلامة (*) فهو أثر .

(ت ـ ح ـ س)

(ع ـ ف ـ ك)

(ل ـ م ـ ن)

۞ ۞ ۞ ۞

٢- فهرس الموضوعات

التحقيق الوثيق لفوائد حديث أبي بكر الصديق

❊ ❊ ❊ ❊